وزارة التعليم العالي و البحث العلمـي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

++

المـوضـوع:

التعليم والعلماء في بغداد من خلال كتاب تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في دراسة و حضارات العصر الوسيط.

إعـداد الـطالبتيـــــن:
* نبيـــلـــة لعيساوي.
* نصيـــــرة جليـــد.

إشـــراف الأستـــاذة:
* فاطمة الزهراء مالكي.

السنة الجامعية: 1436هـ-1437هـ/2015م-2016م


بسم
الله الرحمان
الرحيم

عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال:

" سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:
من سلك طريقا يلتمس فيه علماً، سهل الله له طريقا
إلى الجنَّة، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم
رضا بما يصنع وإنَّ العالم ليستغفرُ له من في
السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء
وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر
الكواكب، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء، وإنَّما ورثوا
العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر."

كلمة شكر وامتنان:

إنّ الحمد لله، نحمده، ونشكره في اليوم

ألف مرّة على مدى توفيقنا، وندعوه أن يجعل عملنا هذا

في ميزان حسناتنا.

نتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من قدم لنا

يد المساعدة والعون من قريب أو من بعيد، في سبيل إنجاز هذا العمل،

ونخصّ بالذكر الأستاذة المشرفة: مالكي فاطمة الزهراء التي لم تبخل علينا

بتوجهاتها وتقديم نصائحها التي كانت سنداً لنا.

ونرفع تشكراتنا الخالصة إلى الأخ "محمد"، صاحب المطبعة،

وكل الأساتذة الذين سرّنا عل نهجهم على مرِّ الأطوار الدراسية.

وختاماً أزكى الصلاة والسّلام على حبيبنا المصطفى.

الإهداء

إلى رمز النبل والعطاء... إلى نبع الحنان والعطف...إلى التي أكن لها على الدوام حبي وتقديري...إلى من هي أعظم من أن أهدي لها مجرد عبارات...إلى أمي...أدامها الله تاجاً على رأسي...إلى من ضحى وكافح...إلى الذي لم يبخل عليَّ بكل ما يملك...وإن بقيت أعدُّ فضائله فلن أحصيها...

إلى أبي الكريم...

...إلى كل أفراد عائلتي...إخوتي كمال، ساعد، محمد....رعاهم المولى

....إلى أخواتي... جميلة، عقيلة، وردة، دليلة، سميحة....الذين ساروا معي درب الأيام، وشاركوني الأفراح والأحزان....إلى زوجات إخوتي فوزية، مسعودة...أنعم الله عليهم...إلى الشموع المضيئة ، أطفال البراءة، الأزهار المتفتحة... عبد الرؤوف، سارة، هشام، أروى،

إلى اللؤلؤة التي أحبتها القلوب قبل أن تراها العيون...أمامة.

إلى أعزِّ صديقاتي إلى من قاسمتني الحياة بحلوها ومرِّها...رزيقة...

إلى الإنسان الفاضل زوج أختي...الذي وقف معي أثناء إنجاز هذا العمل ....جمال...حفظه الله، ولا أنسى زوج أختي...المقتصد عبد القادر...ستره الله.

إلى قريباتي كل من سميرة، فتيحة...إلى جدتي العزيزة أطال الله في عمرها...إلى صديقتي الحنونة المقيمة معي في الغرفة...فتيحة...إلى حبيبتي وبلسم جروحي التي جمعتني بها الأيام في الإقامة الجامعية...

منال...إلى من حملت معي ثقل هذا العمل وشاركتني فرحة إنجازه...

إلى صديقتي الوفية...نصيرة.....إلى كل هولاء...وكل الأهل والأحباب...إلى كل من يعرفني...أهدي ثمرة جهدي.....

المتواضع.....



إهـــــــداء:

إلى التي رسمت لي طريق الأمان وغمرتني بفيض من الحنان

...أمـــــي العـــزيزة حفظـــها الله.

... إلى سند حياتي وفخري إلى رمز القوة والعطاء إلى الذي لم يبخل علي بشيء

.... أبـــي العـــزيز حفظـــــه الله.

... إلـــى روح أخي الغالي وسندي الضائع ...."عـلـــي"

... إلـــى إخوتي الأعزاء بن حوة، عبد القادر، إبراهيم، مصطفى، الربيع

... إلـــى الأختين العزيزتين لي على قلبي فاطمة، وحورية

...إلـــى زوجة أخي "فاطمة ".

...إلـــى بهجة العائلة عبد النور، هواري، ونور الهدى

...إلـى جدتي الغالية وكل الأهل والأقارب

...إلـى كل الأساتذة الكرام منذ بداية مشواري الدراسي

...إلـى أعز صديقات عمري، أسماء، كريمة، حفيظة، نورة ،،

...إلـى شريكتي الغالية في هذا البحث نبيلة.....

الوفية التي لن أنساها مدى الحياة

...إلـــى كل من ساعدني ودعمني في مسيرتي الدراسية

...إلـــى كل من تضرع لله طالباً لي النجاح والتوفيق

أهدي ثمرة هذا البحث.

نـــصـــيـــرة

* قـــائمة المختصـرات:

الكـــلمـة		اختـصـــارهـا	
تحقيق	ترجمة	تح	تر
تعليق	مراجعة	تع	مر
مجلد	الجزء	مج	ج
الطبعة	دون طبعة	ط	د.ط
دون مكان الطبعة		د.م.ط	
دون تاريخ		د.ت	
الصفحة	صفحتين متتاليتين	صفحتين متباعدتين	ص	ص، ص	ص- ص
الهجري	الميلادي	هـ	م
الملحق	كلام مبتور	م	.....

مقدمة

مـقـــدمـــــة:

حظيت بغداد بمكانة مرموقة أهلتها لتكون منارة العلم والعلماء في بلاد المشرق العربي، وقد شهدت حركة علمية منذ تأسيسها حتى منتصف القرن الخامس هجري، برز فيها الخطيب البغدادي كمصدر أوسع تناولته العديد من الدراسات التاريخية، ونال كتابه تاريخ بغداد المعروف بتاريخ "مدينة السلام" درجة رفيعة لفائدته العظيمة، باعتبار أنَّ مؤلفه أول من دوَّن تـاريخ بـغـداد، فـاكسبه بذلك الصدارة بين جلِّ علماء عصره.

ونظراً لأنَّ دعـوة الإسلام إلى المعرفة، وحثّه على العلم، لمعرفة الدين التي هي الغاية القصوى والمطوب الأول، وجِّب التعليم، بحيث تشمل جميع أفراد الأمة ذكوراً وإناثا؛ وخير دليل على ذلك آيات القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى:﴿ يا أيُّها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإنْ لَمْ تَفعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ و**الله** يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ، إنَّ **الله** لا يَهْدِى القومَ الْـكافِرِينَ﴾[الـمائـدة/67] وأيـضـاً: ﴿ أُدعُ إلىَ سبيل رِبّك بِالحكْمَة والمَوْعِظة الحَسنة وَجادلهُم بِالّتي هي أَحسن إنَّ ربَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَّل عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بَالْمهْتَدِينَ﴾ [النمل/125]، بالإضافة إلى قوله جلَّ وعلا:﴿ يُؤْتِى اَلْحِكْمِةِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتِ الْحِكْمِة فَقِدْ أُوتِىَ خَيْرا كثيراً وَمَا يِذَّكَّرُ إلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ ﴾[البقرة/289]، وعلى اعتبار أنَّ العلماء هم المحرك الرئيسي في المجتمع الإسلامي، فقد ساهموا بكلِّ ما يملكونه في نشر التعليم في بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وتشجيع بلوغه.

1– أسباب اختيار الموضوع:

تمَّ اختيار هذا الموضوع لإعطاء صورة واضحة عن الحالة العلمية في بغداد، وإماطة اللّثام عن كل ماله علاقة في تألّق مدينة السلام حضارياً، وإخراج أبو بكر البغدادي من قوقعة النسيان العلمي الذي لم يُضف له جديدً على الساحة العلمية.

2– أهـمـيـة المـــوضـوع:

تكمن أهمية الموضوع في كوْن بغداد كانت مركز إشعاع علمي بارز في بلاد المشرق الإسلامي ومحطة العديد من العلماء، الذين اشتهروا بتنوع مؤلفاتهم العلمية الغنّية، بالعديد من العلوم والفنون الجمّة مثل علم الحديث، الذي كان ملاذ الخطيب البغدادي من خلال مؤلفه المعروف، بكتاب

تاريخ بغداد"مدينة السلام"، وأيضا علم رجال الحديث وهذا الأخير الذي خدم علم الحديث، كما أنَّ بغداد كانت مألف كبار الفقهاء المحدثين أمثال البرقاني، الذي كان من أهم شيوخ البغدادي وسنده في تدوين أسانيد رواياته، وأبو القاسم الأزهري على اعتبار أنَّه من الشيوخ الذين أكثر النقل عنهم في مادته العلمية، وهذا على غرار الآخرين.

ولا ننسى أهمية كتاب تاريخ بغداد وما فيه من ذكر للتعليم، وكذا للعلم والعلماء.

3- الإشكالية:

كتاب تاريخ بغداد للبغدادي يحوي مادة مصدرية هامة فيما يخص التعليم والعلماء والطلبة، في بغداد مدينة السلام، وانطلاقا من أهمية الكتاب طرحنا الإشكالية التالية:

-كيف كانت حالة التعليم والعلماء في بغداد من خلال كتاب الخطيب البغدادي؟

وتتفرع عن هذه الإشكالية تساؤلات منها:

1- من هو الخطيب البغدادي؟ وما دوره العلمي؟

2- ماهي أهمية محتوى كتاب تاريخ بغداد ؟

3- كيف أظهر البغدادي التعليم والعلماء في كتابه؟

4- الدراسات السابقة:

أمَّا من تناولوا هذا الموضوع للدراسة نجد مرجعين:

- أكرم ضياء العمري في كتابه موارد الخطيب البغدادي، وكتاب تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري، لمصنِّفه منير الدين أحمد، وهذا المرجع هو عنوان رسالته في نيل شهادة دكتوراه.

5- منهج الدراسة: تمَّ الاعتماد على المنهج الوصفي، من خلال وصف ما أُقرَّ به في التعريف بحياة الخطيب البغدادي، ودراسة كتابه، وحالة التعليم والعلماء في مدينة السلام، إلى جانب المنهج

الإحصائي الذي استعملناه في ذكر شيوخ البغدادي، خاصة الذين أكثر الأخذ عنهم، دون نسيان مصنفات البغدادي، التي حدث اختلاف في تعدادها بين الباحثين.

6- الخطة المتبعة في الدراسة:

في معالجتنا لهذا الموضوع اعتمدنا على خطة تتكون من مقدمة، وثلاث مباحث، المبحث الأول يحتوي على ثلاث عناصر، وكذا المبحث الثاني، أمَّا المبحث الثالث احتوى على عنصرين، تليه خاتمة؛ وعليه:

المقدمة وفيها تعريف بالموضوع، مع ذكر أهم العناصر البارزة، إلى جانب الخطوات المعتمدة على النحو الآتي: أسباب اختيار الموضوع، أهمية الموضوع، الإشكالية المطروحة في البحث، والدراسات السابقة لموضوع البحث، ومنهج الدراسة، والخطة المتبعة في الدراسة، والتفصيل فيها، وأهم المصادر والمراجع المعتمد عليها في إنجاز البحث، وشرح بعض منها، مع ذكر صعوبات الدراسة التي اعترضتنا في البحث.

المبحث الأول:

مضمونه التعريف بالخطيب البغدادي؛ ليتمَّ التطرق إلى الحياة العلمية للخطيب البغدادي كعنصر أول يشمل كل من نشأته، ورحلاته التي جمع فيها الحديث، وأهم ملاحظات أكابر شيوخه ليتبعها في طريقة العلمي، أمَّا العنصر الثاني: ذكر فيها مؤلفاته التي بلغت86 مصنفاً تفرعت إلى علم الحديث وعلومه (سوى علم الرجال)، والفقه وأصوله، التاريخ، العقائد، والأدب، إلى جانب شيوخ الخطيب البغدادي الذين أكثر النقل عنهم في جمع مادته كعنصر ثالث.

المبحث الثاني:

فقد خُصَّص لدراسة كتاب تاريخ بغداد، إذّ تمَّ التعرف فيه على محتواه، وأهميته التي تكمن بالدرجة الأولى على أنَّه أوسع مصدر عن الحركة الفكرية، ومن جهة أخرى التحدث عن منهج الخطيب.

المبحث الثالث:

عُنْونَ بالتعليم والعلماء في بغداد، بحيث عُولج فيه أحوال التعليم بمختلف مراحله وما انطوى عليـه من أماكن التدريس، مدَّة الدراسة، وأساليب التدريس ومجالسه، ومن جهة أخرى التكلم عن ورثة الأنبياء ألا وهم العلماء، وتتبع نفس التسلسل فيما أُورد عن مكانتهم، عـلاقتهم بالدولة وبعضهم البعض، والـدور الذي أدوه في المجتمع الإسلامي عامةً، وبغداد خاصةً.

وفي الأخير خاتمة فيها استنتاجات حول الـموضوع، إلى جانب ملحق، وقائمة البيبليوغرافيا، وقائمة الفهارس.

7- تقيـيم الـمصادر والمراجع:

تـمَّ الاعتماد في هذا الـموضـوع على عـدّة مصادر ومراجـع كانـت أسـاس البحث، ونـذكـر بـدايـةً:

1- المصادر:

من بينها كتاب **تاريخ مدينة السلام**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي المتوفى سنة 392هـ، 16مجلداً، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م؛ فهو المصدر الأول الذي أُعتمد عليه في استقاء معلومات مرتبطة بالتَّعرف على الحياة العلمية للبغدادي ومنهجه، وأهمية كتابه"تاريخ بغداد"، والتعريف بمدينة السلام وخطَّطِها.

-**والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، ابن الديماطي المتوفى سنة 749هـ، تح: قيصر أبو فرح، ط1 دائـرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1399هـ/1979م؛ الذي يعتبر من أهم الكتب التي ذيلت عن تاريخ بغداد.

-**وكتاب تذكرة الحفاظ**، لشمس الدين محمد الذهبي المتوفى سنة748هـ، ج1و2و3، ط11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبـنـان، د.ت؛ يصنف ضمن كتب الطبقات العامة، وتمَّ الاعتماد عليه في ترجمة مختلف الأعلام المستهدفة، ليضاهيه كل من **كتاب سير أعلام النبلاء**، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ، تح:شعيب الأرنؤوط، ج14و18و19و20، ط1، مؤسسـة الـرسالـة، بيروت

لبنان، 1405هـ/1984م.-**كتاب الطبقات الشافعية الكبرى**، لتاج الدين السَّبكي المتوفى سنة771هـ تح: عبد الفتاح محمد الحلو، مج1و4و5و8، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، فهذه الكتب مصدر هام، تبرزُ أهميتها في التعريف بتراجم أعلام بغداد وغيرهم، في صورة واضحة، مرتبة ومنسقة في فهرس، تُسهل على الباحث الإطلاع عليها.

2- المراجع:

منها **موراد الخطيب البغدادي**، لأكرم ضياء العمري، ط2، دار طيبة، الرياض، السعودية 1405هـ /1985م؛ يعُدَّ كتابه مورداً هام جداً خدم هذا الموضوع، إذّ احتوى على أبرز شيوخ البغدادي ورحلاته ومصنفاته وغير ذلك، على سبيل الحصر لا على سبيل التعميم.

- وكتاب تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس هجري- مستقاة من"تاريخ بغداد"للخطيب البغدادي، لمنير الدين أحمد،تر:سامي الصقار، د.ط، دار المرية، الرياض، السعودية،1401هـ/1971م؛ الذي شمل عدَّة نقاط مهمة ارتكز مضمونها على التعليم والعلماء في بغداد، والتي سلِّط الضوء عليها في هذا البحث.

-وكتاب تاريخ الأدب العربي-العصر العباسي الأول، لشوقي ضيف، ط16، دار المعارف،2004م.
-وكتاب التربية في الإسلام، لأحمد فؤاد الأهواني، د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر د.ت.

لتكون هذه الكتب مرجعاً يحتوي على معلومات مهمة متعلقة بجوانب الموضوع المتناول للدراسة.

8- صعوبات الدراسة:

أمَّا عن صعوبات الدراسة، فهي تكمُن أول الأمر في ضيق الوقت، الذي حدَّ من التعمق أكثر في البحث، ثاني الأمر قلّة المصادر المتخصصة في الموضوع حسب إطلاعنا.

المبحث الأول: التعريف بالخطيب البـــغـــدادي.

أولا: الحياة العلمية للخطيب البـــغـــدادي.

ثـــانيـا: مـــؤلـفـات الـخـطيب البـــغـــدادي.

ثـــالـثـا: شـيـــوخ الـخـطيب البـــغـــدادي.

أولا: الحياة العلمية للخطيب البغدادي.

أ-نشـأتــه:

هو أبو بكر أحمد بن علي[1] بن ثابت بن أحمد بن مهدي بن أرومة العربية[2]، ولد في جمادى الآخرة سنة 392هـ/1002م، في قرية تعرف بغزية[3]، نشأ في درزيجان[4] الواقعة جنوب العراق، تعلم قراءة القرآن بتوجيه من والده الذي عمل خطيبا بجامع القرية، وعلى يد شيخه منصور الحبال[5]، تعلم الحديث عندما بلغ إحدى عشر سنة في محرم عام 403هـ، على يد أبي الحسن بن زرقويه بجامع بغداد[6]، تلقى تعليمه للقراءة والكتابة على يد مؤدّبه أبو عبد **الله** الطِيّبي(ت422هـ)، ودرس الفقه على يد شيخه أبي حامد الإسفراييني[7].

---

[1] هو أبو الحسن الخطيب، كان أحد حفاظ القرآن، تولى الإمامة، والخطابة لمدة عشرين سنة، توفى سنة 412هـ.-انظر: أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطانها من العلماء من غير أهلها ووارديها**، تح: عواد معروف، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م، ص18.

[2] نـفسـه، ص17.

[3] هي على صيغة التصغير، فهي منتصف الطريق بين الكوفة ومكة. انظر: خير الدين الزركلي، **الأعلام-قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج1، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ص172.

[4] هي بفتح أوله، وسكون ثانيه، وزاي مكسورة، ويـاء مثناة من تحت، وجيم، وآخـره نـون فهي قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي؛ منها كان والد أبي بكر أحمد بن ثابت الخطيب البغدادي، كما أنَّ درزيجان إحدى المدن السبع التي كانت الأكاسرة وبها سميت المدائن وأصلها درزيندان فعربت على درزيجان. -انظر: شهاب الدين عبد **الله** أبو عبد **الله** ياقوت الحموي، **مـعجـم البلـدان**، مج2، د.ط، دار صـادر، بيروت، لـبنـان، 1976م، ص ص331، 332.

[5] المتوفى سنة482هـ، وهو الإمام الحافظ، المتقن العالم، أبو إسحاق الحبال الفراء، ثقة، ورع، خيِّر، من أهل المعرفة بالحديث. انظر: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط، ج18، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1984م، ص ص10-495-497.

[6] بوسنينة المنجي، **أعلام العلماء والأدباء العرب والمسلمين**، مج3، ط1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1425هـ/2005م، ص619.

[7] هو أبو حامد أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني، شيخ الشافعية ببغداد، توفي عن عمر يناهز اثنتين وستين سنة.

انظر: أبو عبد **الله** شمس الدين محمد الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، ج3، ط11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص1064.

فقال فيه الخطيب: << وقد رأيته من غير مرة، وحضرت تدريسه في مسجد عبد **الله** بن المبارك وهو المسجد الذي في صدر قطيعة الربيع>>.ومن شيخه أبو بكر البرقاني الذي أخذه من أبو الطيب الطبري، وأحمد بن محمد المحاملي[1]، علماً أنَّ البغدادي كان جُلُّ اهتمامه بالحديث دون الفقه لغاية منه قال ابن النجار[2]: << نشأ ببغداد، قرأ القرآن بالروايات، وتفقه، وعلق شيئاً من الخلاف...>>[3]، واشتهر البغدادي بكنية "الخطيب" تتبعاً لمهنة أبيه في الخطابة أمَّا بالنسبة إلى عقيدته فكان على مذهب أبي الحسن الأشعري[4] في الأصول، وعلى مذهب الإمام الشافعي[5] في الفروع، وأهم ما ميَّز البغدادي أنَّه: الإمام[6] الأوحد، العلامة المفتي الحافظ[7] الناقد، محدث الوقت صاحب التصانيف[8].

---

[1] المتوفى سنة235هـ/330م، وهو الحسين بن إسماعيل المحاملي، من كبار الفقهاء، تولى القضاء بالكوفة، وله الأجزاء المحامليات، عرفت بآمالي المحامي. -انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص243.

[2] المتوفى سنة643هـ، وهو الحافظ الثقة محي الدين أبو عبد **الله** بن النجار البغدادي، مصنف "تاريخ بغداد" الذي ذيل به على تاريخ الخطيب، وله تصانيف كثيرة السنن والأحكام. -انظر: تاج الدين السَّبكي، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: عبد الفتاح محمد الحلو، ج8، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، د.ت، ص98.

[3] محمد الدمشقي الصالحي، **طبقات علماء الحديث**، تح: أكرم البوشي، ج3، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م، ص334.

[4] المتوفى سنة 324هـ، وهو أبو الحسن علي بن أبي موسى الأشعري، صاحب الأصول والقائم بنصرة مذهب السنة، وإليه تنسب الطائفة الأشعرية وكان، مشهور، له كتاب التبيين عن أصول الدين. -انظر: شمس الدين أحمد بن أبي بكر بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، مج3، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص284.

[5] (150-204هـ/767-820م) هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان أبو عبد **الله**، أحد الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب الشافعية كافة، فكان أشعر الناس، وأعرفهم بالفقه والقراءات، له عدة تصانيف منها، الفقه في سبع مجلدات. -انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج6، ص26.

[6] هو المقتدي به في الأمور. -انظر: شهاب الدين بن حجر العسقلاني، **نزهة النظر شرح نخبة الفكر**، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م، ص17.

[7] قال أبو الفتح بن سيد الناس: (هو من توسع في علمه عن المحدث حتى عرف شيوخه وشيوخ شيوخه، طبقة بعد طبقة، بحيث يكون ما يعرفه عن كل طبقة أكثر مما يجهله منها). -انظر: نفسه، ص17.

[8] البغدادي، المصدر السابق، ص47.

وخاتم الحفاظ[1]، جوهري الصوت، قوي العبارة، دقيق الضبط، حسن الخط، متواضعا، عزيز النفس حسن اللباس والهيئة، عرف بأشعارٍ رنانة، وقوراً، مهيباً نبيلاً، عفيفاً ذو منزلة رفيعة، وبنبوغه العلمي احتل مكانة في نفوس طلبة العلم، فكانوا يأتون إليه من كل حدبٍ وصوب، كما شهد له المعاصرون بذلك منهم ابن ماكولا[2]، السمعاني[3]، ابن النجار وغيرهم[4].

ب–رحـــلاتـــه:

قام الخطيب بعدة رحلات لطلب العلم، ولم يكتف بالأخذ، والدراسة من علماء بغداد وأدباءها وفقهائها[5] فشق طريقه إلى البصرة سنة 412هـ، وقد سجل وجوده فيها في ترجمة محمد بن إبراهيم بن حوران الحداد[6] قائلا: << مات أبو بكر بن حوران في سنة اثنتي عشر وأربع مئة، وكنت إذّ ذاك بالبصرة >>.وكانت رحلته قصيرة، عاد فيها إلى بغداد في نفس السنة مدركا وفاة والده، ثم نزل البغدادي بنيسابور[7]، وكان قد استشار شيخه البرقاني في هذه الرحلة، إمَّا بالرحلة إلى أبي محمد بمصر أو إلى أصحاب الأصّم بنيسابور فقال له:<< إنَّك إن خرجت إلى مصر إنَّما تخرج إلى واحد،

---

[1] الذّهبـيّ، المصدر السابق، ص270.

[2] هو الإمام الحافظ الكبير النسابة، علي بن هبة **الله** بن جعفر، توفي سنة نيف وثمانين أربعمائة. –انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص106.

[3] المتوفى سنة381هـ **و**هو ابن عثمان بن سعيد بن سمعان المعروف السمعاني، كان فاضلا، ثقة، من أصحاب الرأي، محباً لأهل الفضل كان ذا إسناد عالي، سمع الناس منه الكثير. –انظر: أبي سعيد عبد الكريم السمعاني، **الأنـــســاب**، تح: عبد **الله** عمر البارودي، ج3، ط1، دار الجنان، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص302.

[4] البغدادي، المصدر السابق، ص47 وما بعدها.

[5] المنجي، المرجع السابق، ص619.

[6] المتوفى سنة 419–515هـ وهو الحسن بن أحمد بن الحسين الأصبهاني أبو علي الحداد، شيخ أصهبان، ومن كتبه تاريخ أصبهان ومن كتبه تاريخ اصبهان. –انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص181.

[7] هي بفتح أوله، والعامة يسمونه نشاوُور؛ إذ أختلف في تسميتها فقال بعضهم: سميت بذلك لأنَّ سَابور مرَّ بها، وفيها قصب كثير فقال: يصلح أنْ تكون ههنا مدينة، فقيل لها نيسابـور ومن أسماء نيسابور" أبرشهر–إيرانشهر"، وبذلك فمدينة نيسابور مدينة عظيمة، ومنبع العلماء، قال فيها بطليموس: مدينة نيسابور طولها خمس وثمانون درجة، وعرضها تسع وثلاثون درجة؛ وقد عرف بها من أئمة العلم مـا لا يحصى منهم: ابن يزيد النيسابوري الصائغ، أبي خليفة، زكريـاء السَّاجي وغيرهم. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص450.

إن فاتك، ضاعت رحلتك وإنْ خرجت إلى نيسابور ففيها جماعة، إنْ فاتك واحد، أدركت من بقي فخرجت إلى نيسابور>>[1].

دخلها سنة 415هـ، قائلا: <<وقدمت أنا نيسابور في شهر رمضان>>.واعتبرت رحلة طويلة مرَّ فيها ببعض المدن كالنهروان[2]، والديّنور[3]، والرَّي[4]، في نفس السنة، ورافقه في هذه الرحلة أبو الحسن علي بن عبد الغالب بن جعفر بن الحسن البغدادي الضَّراب المعروف بابن القُفَيْ توفي عام431 هـ، قال السمعاني في القُفَيْ من الأنساب...قال علي ابن عبد الغالب أبو الحسن كان رفيقي في رحلتي إلى خرسان...وعلقت عنه أحاديث>>، ومن أبرز شيوخه النيسابوريين من تلاميذ أبي العباس الأصَّم أبو حازم عمر بن أحمد بن إبراهيم العبدوني المتوفى (بعد340-417هـ)، وقال عنه الخطيب: <<كان ثقة صادقاً عارفاً حافظاً >>[5] .

كما توجه البغدادي إلى اصبهان لحمل وصية شيخه أبي بكر البرقاني إلى أبي نعيم الأصبهاني[6] في سنة421هـ سمعت الخطيب يقول: <<كتب معي أبو بكر البرقاني كتابا إلى أبي نعيم الحافظ يقول: وقد رحل إلى ما عندك أخونا أبو بكر-أيده **الله** وسلمه- ليقتبس من علومك وهو بحمد **الله**- ممن له

---

[1] السَّبكي، المصدر السابق، ج4، ص31.

[2] فهي تضُّم ثلاثة نَهْرَوَانَاتْ، الأعلى، الأوسط، الأسفل؛ وهي كورة واسعة بين بغداد وواسط، من الجانب الشرقي حدّها الأعلى متصل ببغداد، وفيها عدّة بلاد متوسطة منها: إسكاف، وجُرجُرَايَا والصافية، ودير قُنَّي وغير ذلك، وقد كانت بها الموقعة المشهورة لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم **الله** وجهه مع الخوارج. -انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص ص225-324.

[3] هي مدينة قرب قزمين، بُعدها عن همذان نيف وعشرون فرسخاً، والدَّينور بمقدار ثلثيْ همذان، وهي كثيرة الثمار والمياه، نسب إليها جماعة من أهل الأدب والحديث منهم: عبد **الله** بن محمد بن وهب بن بشر بن صالح بن حمدان أبو محمد الدَّينوري الحافظ. - انظر: نفسه، مج2، ص545.

[4] هي مدينة مشهورة بينها وبين نيسابور 160فرسخاً، خارجة من الإقليم الرابع وداخله في الإقليم الخامس، بناها فيروز بن يزدجر وسّماها فيروز ثُّم الرَّي. -انظر: نفسه، مج3، ص116.

[5] السَّبكي، المصدر السابق، ص32.

[6] المتوفى سنة430هـ/1038م، وهو أحمد بن عبد **الله** الصوفي، أجاز له العديد من أكابر الشيوخ، وكان طلاب العلم لا يتردَّدون على حضور مجالسه، لعلمه وضبطه، وعلو إسناده. -انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص19.

في هذا الشأن سابقة حسنة، و قَدَم ثابت وقد رحل وفي طلبه، وحصل لم منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك التورع والتحفظ ما يحسن لديك موقعه >>[1].

وبعد اِنتهاء البغدادي من رحلاته العلمية، التي جمع فيها كمًّا هائلا من مادته، رجع إلى موطنه ليتفرغ إلى تأليف كتابه "تاريخ بغداد"، ورحل البغدادي إلى مكة[2]، لتأدية فريضة الحجِّ، ذلك سنة 445هـ فكانت أمنيته التدريس بجامع المنصور، فاتخذ دمشق[3] منزله، لمدَّة قصيرة لوصول موسم الحجّ، فتوجه إلى مكة المكرمة مصادفاً بعض الشيوخ، كأبي عبد **الله** محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي المصري[4] حيث قرأ "صحيح البخاري" على كريمة[5] بنت أحمد المرزوية، وأثناء عودته من قافلة الحجِّ، سلك طريق الشام وزار أبرز مدنـها، صور[6].

---

[1] الذّهبيّ، المصدر السابق، ص276.

[2] هي مدينة تاريخية قديمة، بقعتها من أقدس بقاع العالم، لأنَّ بها الكعبة المشرفة، والمسجد الحرام، وهي قبلة المسلمين، وتقام فيها مناسك الحج، وقيل سميت مكة، لأنَّ الناس تزدحم بها، وأطلق عليها اسم بكَّة، وقيل مكة اسم البيت، ومكة اسم المدينة وقد يكون سبب تسميتها بهذا الاسم لأنَّها تقع بواد بين جبلين مرتفعين، وقيل إنَّما سميت بكَّة، لأنَّه لا يفجر بها أحد إلاَّ بكَّت عنقه أيْ دقته، ولقد أطلق على مكة أسماء عدة غير بكة، منها أم القرى، وهذا ما سماها بها عزَّ وجلَّ في قوله تعالى:﴿ وَلِتُنْذَرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾.[سورة الأنعام/92]-انظر: يحي الشامي، **موسوعة المدن العربية والإسلامية**، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1993م، ص44.

[3] هي من أعرق المدن وأقدمها، سميت بدمشق من الدمشقة، وهي السرعة لأنَّهم دمشقوا في بنائها، أيْ أسرعوا، وقيل سميت بدمشق على اسم دماشق بن قاني بن مالك بن أرفخشد بن سام ابن نوح، بناها بعد مولد إبراهيم عليه السلام بخمس سنين، وفي بعض التفاسير أنَّ دمشق هي الرَّبوة، وأنَّ التين في قوله تعالى:﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾.[سورة التِّين/1] وهو الجبل الذي عليه دمشق ومن معالم دمشق "مغارة الدم" في جبل قاسمون المطل من الجهة الشمالية، ومن أبرزها: وفرة الصالحين والعابدين، والعلماء والصحابة والتابعين، ولكثرتها لا تحصى منها: قبر أبي الدَّرداء وقبر أم الحسن بنت الحسين بنت الإمام الصادق، وقبر خديجة بنت الإمام علي بن الحسين زين العابدين.-انظر: نفسه، ص59.

[4] هو الشافعي، قاضي مصر، مؤلف كتاب "الشهاب" مجرداً ومسنداً، من الثقات والثبوت توفى سنة454هـ.-انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ص93.

[5] هي العالمة، الفاضلة، المسندة، أم الكرام، روت صحيح البخاري مرات كثيرة، منها قراءة أبي الخطيب في أيام موسم الحجِّ، ماتت بكراً ولم تتزوج. -انظر: نفسه، ص233.

[6] هي بضم أوله، وسكون ثانيه، طولها تسع وخمسون درجة وربع، وعرضها ثلاثون درجة وثلثان وهو في اللّغة القرن؛ وصور مدينة مشرفة على بحر الشام يحيط بها من جميع جوانبها، وعرفت بحصانتها، وتعدُّ من مدن الأردن شرقي عكة، نسبت إليها طائفة من العلماء منهم: عبد **الله** الصُّوري الحافظ. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص433.

وبيت المقدس[1]، ولم يمكث طويلاً بها إذّ عاد إلى بغداد سنة 446 هـ[2] أمَّا في سنة 447هـ حدثت محنة ببغداد، تعود تداعياتها إلى تكالب الفاطميين على السلطة، وإنهاء الخلافة العباسية في بغداد حيث تمكن الفاطميون من تحقيق رغبتهم بفضل القائد التركي أرسلان البساسيري[3]، إذّ نَفى الخليفة القائم بأمر **اللَّه** إلى مدينةٍ على الفرات، وقتل ابن مسلمة[4]، ودعا للخليفة الفاطمي على المنابر في جامع الرصافة، والمنصور[5]،كما تعرض البغدادي لإيذاء الحنابلة، قال المؤتمن الساجي: << تحاملت الحنابلة على الخطيب حتى مال إلى ما مال إليه>>[6]. بسبب انتقاله من مذهب أحمد بن حنبل[7] إلى مذهب الإمام الشافعي، فخرج من بغداد سنة 451هـ متَّجهاً إلى دمشق، مقيماً بها حلقات بجامع دمشق، روَى فيها عن **"تاريخ مدينة السلام"**، منتفعاً بذلك أهل دمشق من مصنفاته التي جلبها معه من بغداد، فأصبح البغدادي من كبار أئمة الشأن في دمشق[8].

---

[1] هي(القدس) عاصمة فلسطين، وأشهر مدن العالم، إذ هي ملتقى الحضارات الإسلامية والمسيحية، واليهودية، بها المسجد الأقصى، وكنيسة القيامة، وحائط المبكى؛ ومن أهم ما يميزها سبعة أبواب هي: باب العمود، باب الساهرة، باب النَّبي داود وباب المغاربة، باب الأسباط، باب الخليل، باب الجديد، والقدس أو بيت المقدس، أيّ المنزَّهة، وإيلياء أيضاً، كما أنَّها من أقدس المدن وأقدمها وأعرقها، وقد جاء ذكرها في قوله تعالى:﴿ونجيّناه وَلُوطاً إِلَى اَلْأَرْضِ اَلَّتِيْ بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعالمِينَ ﴾. [سورة الأنباء/71]، كما أنَّها مهبط الملائكة ومسرى النَّبي، ووصفها الرحالة القدامى والمؤرخون، فقالوا إنَّها قائمة على أرض وطيئة في وسط الجبال وفيها أسواق كثيرة، وعمارات حسنة، والمسجد الأقصى في طرفها الشرقي نحو القبلة[1]. -انظر: يحي الشامي، المرجع السابق، ص93.

[2] البغدادي، المصدر السابق، ص ص28-31.

[3] هو أبو الحارث أرسلان بن عبد **الله** البساسري التركي، مقدم الأتراك ببغداد، وهو الذي خرج على الإمام القائم بأمر **الله** ببغداد وخطب للمستنصر العبيدي، صاحب مصر على المنابر، ولفظة البساسيري تنسب إلى بلدة بفارس، يقال لها باسا. -انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص ص192، 193.

[4] هو وزير القائم العباسي، ذو رأي أصيل وعقل وافر، سديد المذهب، حسن الاعتقاد. انظر: البغدادي، المصدر السابق، ص31. - وأيضا: الزركلي، الأعلام، ج1، ص172.

[5] البغدادي، المصدر السابق، ص31.

[6] الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص1042.

[7] هو الإمام الجليل، أبو عبد **الله** الشيباني، أثنى عليه الشافعي فيما رواه حرملة: << خرجت من بغداد، وما خلَّفت بها أفقه ولا أروع ولا أزهد، ولا أعلم من أحمد >>. -انظر: السَّبكي، المصدر السابق، ج2، ص27.

[8] البغدادي، المصدر السابق، ص33.

علماً أنَّ دمشق كانت تحت سيطرة الفاطميين، الذين عرقلوا النشاط العلمي للبغدادي كما أنَّ الحسين بن علي الدَّمنشي[1]، وجّه له تهمة الناصب، وتعديده فضائل الصحابة وبني العباس في جامع دمشق، ورواية أخرى تذكر أنَّ سبب غضب والي دمشق على الخطيب هو علاقته بأحد الصبيان بقوله كلام لا يُقْبَلُ سماعه، نشره محمد بن طاهر المقديسي أحد الحاقدين عليه[2].

الأمر الذي دعا البغدادي إلى العودة إلى بغداد سنة 462هـ، فبلغ فيها سن السبعين، حيث ذكر السمعاني رواية توضح شدة شوق البغدادي إلى بغداد، قال فيها: << سمعت بعض مشايخي يقول: دخل بعض الأكابر جامع دمشق، وصور، ورأى حلقة عظيمة للخطيب، والمجلس غاص يسمعون منه الحديث فقعد إلى جانبه وكأنَّه استكثر الجمع، فقال له الخطيب: << القعود في جامع المنصور مع نفر يسير أحبُّ إليَّ من هذا >>[3]، ومرَّ بطرابلس[4].حلب[5]، ومكث بها أيام قليلة، مواصلا طريقه إلى بغداد بعد مدة طويلة، بلغت أحد عشر عاما[6]، كما أنَّه حقق ما تمناه إذْ حدَّثَ بجامع المنصور

---

[1] نسبة إلى دمنش، قال ياقوت: "وجدت صورة ما ينسب إليه الحسن بن علي أبو المقرئ المعروف بابن الدَّمنشي". –انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص282.

[2] البغدادي، المصدر السابق، ص34.

[3] نفسه، ص34 وما بعدها.

[4] هي بفتح أولّه، وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضاً مضمومة، وسين مهملة، ويقال أطرابلس؛ سماها اليونانيون طرابليطة والتي تعني بلغتهم ثلاث مدن، لأنَّ طرا معناه ثلاث، وبليطة تعني مدينة، كما أنَّ أشباروس قيصر أول من بناها، وتسمى أيضاً مدينة إياس، بها أسواق حافلة جامعة وعرفت بمسجد الشعاب، نسب إليها عمر بن عبد العزيز بن عبيد بن يوسف الطرابلسي المالكي فهي كثيرة الثمار والخيرات. –انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص25.

[5] لغةً، مصدر قولك حلبت، أحلب، حلباً، وحلب: مدينة عظيمة واسعة الأرجاء، كثيرة الخيرات، طيبة الهواء والماء، أكبر المدن السورية في تعداد السكان (حوالي المليون نسمة) وهي مرتكز محافظة حلبن وتبعد عن دمشق حوالي350كلم، وعن الحدود السورية التركية 50 كلم، فحَلَبَ: مدينة قديمة جداً، قيل إنَّ اسمها مأخوذ من الحليب، وأنَّ إبراهيم عليه السلام كان يحلب بها غنمه في الجمعات، ثَّم يتصدق به فيقول الفقراء: حلبْ حلبْ، فسمي به. وقيل إنَّ حلب اسم أحد الإخوة الثلاثة من العمالقة الذين بنى كل واحد منهم مدينة باسمهن إحداهما حلب، وثانيهما حمص، والثالثة برذعة؛ وتوجد بها سبعة أبواب: باب الأربعين، وباب النصر، باب اليهود، باب الجنان، باب أنطاكية، باب فنسرين، باب العراق أو باب السّر، وحين فتحت سميت حلب، وكانت تعرف بالشهباء صلحاً، وفتحها أبو عبيدة بقيادة عياض بن غنم الفهري. –انظر: يحي الشامي، المرجع السابق، ص ص52، 53.

[6] البغدادي، المصدر السابق، ص ص34–36.

كتابه "تاريخ بغداد"، مقيماً بدار السلسلة بجوار المدرسة النظامية[1]، حيث تعرض لمرضٍ أدَّى لوفاته سنة463هـ، موصياً بتوزيع تركته على المسلمين[2] ؛ فالبغدادي تزوج وأنجب أولادً، غير أنَّ زوجته وأولاده توفوا في حياته، وهذا ما جعله يوزع تركته على المسلمين، كما أشارت المصادر لعدم معرفة أيّ شخص يُكنُّ للخطيب القرابة، وقد سلمها إلى أبو الحسن بن خيرون[3] ليتولاها، وبوفاة البغدادي دفن في مقبرة باب حرب، بجانب بشر الحافي المتوفى سنة227-841م[4].

ثانيا: مؤلفات الخطيب البغدادي.

شملت مصنفات الخطيب البغدادي عدة ميادين منها: الحديث وعلومه، والتاريخ، وعلم الرجال والفقه وأصوله، والرقائق، والأدب، ليبلغ مجموع مصنفاته ستة وثمانين مصنفاً منها، سبعة وثلاثون مصنفاً في الحديث وعلومه، وخمسة وعشرين مصنفاً في التاريخ، يُضَمُ إليه علم الرجال، وأربعة عشر مصنفاً في الفقه وأصوله، وثلاثة مصنفات في الرقائق ومصنفان في العقائد، وثلاثة مصنفات في الأدب ومصنفان أحدهما مجهول والآخر قد لا تصحُ نسبته إليه، وهو في الرقائق.

وبلغت مصنفات البغدادي قبل سنة 453هـ ستة وخمسين مصنفاً، خصصت بفهرست من طرف المالكي(ت380هـ)، فهو من أكثر المصنفين[5]قال: المؤتمن السَّاجي، كان الخطيب يقول: << من صنف فقد جعل عقله على طبق يعرضه على الناس>>[6]. ويرجع تأليفه إلى سنٍّ مبكرة من حياته، وعن ابن النجار متحدثاً: << وجدت فهرست مصنفات الخطيب، وهي نيف وستون مصنفاً

---

[1] دامت مدة إنجازها سنتين(457-459هـ/1064-1066م)، وتقع قرب نهر دجلة، بنيت خصيصاً لأشهر فقهاء بغداد، وقتئذ وهو "أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشافعي"، وأوقف عليها ضياعا وأملاكا، وكتباً كثيرة، وشيدت سوق على بابها، وأقر للطلبة منحاً تعينهم، ومسكناً داخل المدرسة نفسها، حيث نالت شهرة عالمية بعد بنائها، خاصة بتولي التدريس فيها أكابر علماء بغداد من أمثال الإمام أبي حامد الغزالي(ت505هـ/1111م). -انظر: بشار قويدر، **أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب والمشرق التاريخ الإسلامي**، ج2، د.ط، ميلة، الجزائر، 2011م، ص358.

[2] المنجي، المرجع السابق، ص620.

[3] المتوفى سنة539هـ هو أبو منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن خيرون البغدادي المقرئ. -انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج20، ص94.

[4] البغدادي، المصدر السابق، ص ص36-38.

[5] نفسه، ص41.

[6] الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص281.

فنقلت أسماء الكتب التي ظهرت منها، وأسقطت ما لم يوجد، فإنَّ كتبه احترقت بعد موته وسُلِّمَ أكثرها >>[1].

وقد أُختلف في عدد مصنفات البغدادي، حيث أورد السمعاني، أنَّ الخطيب صنف حوالي مئة مصنف، أمَّا أكرم العمري (موارد الخطيب البغدادي)، أحصاها بسبعة وثمانين مصنفا، وهذا الاختلاف لم يقلِّل من قيمة مؤلفات الخطيب، التي تراوحت بين الستة عشر ألف صفحة مخطوطة، ربعها يُكوِّنُ " **تاريخ مدينة السلام**"، ذات أصالة وموضوعية، منسقة ترتيباً وعَرضاً[2].

وشهد له ابن نقطة الحنبلي[3]، تَألُق مصنفاته في علم الحديث، واختلافها على غرار علماء الحديث ومن كتب الخطيب "الملتقط فيما كتب الخطيب من الوهم والغلط"، وكان ذو جودة عالية، اعترف بها حتى خصومه مثل، أبي الفرج بن الجوزي[4] الذي قال: << ومن نظر فيها عرف قدر الرجل، وما هيئ له مما لم يهيأ لمن كان أحفظ منه كالدارقطني[5] وغيره >>[6].

حيث تعرض الخطيب لعدة اتهامات منها: مؤلفاته التي انتحلها من مصنفات رفيقه محمد بن علي الصوري، واتهمه بذلك أبو الحسن بن الطَّيوري[7]، وفي رواية عنه قال: << أكثرُ كتب الخطيب

---

[1] الذّهبيّ، المصدر السابق، ص282.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص42.

[3] هو أبو بكر بن نقطة الحافظ الإمام محدث العراق محمد بن عبد الغني الحنبلي، ونقطة جارية جد أبيه. –انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص20.

[4] المتوفى سنة 510–597هـ، وهو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد بن علي، عرف بابن الجوزي نسبة إلى جده الذي لقب بذلك، وهو العلامة، الإمام، الحافظ، عالم العراق، وواعظ الآفاق، بلغت مصنفاته مائتان ونيف وخمسون كتاباً، وله كتاب في الطب، وكتاب اللفظ. –انظر: الدمشقي، المصدر السابق، ج4، ص ص119–122.

[5] المتوفى سنة 385هـ، وهو الإمام شيخ الإسلام، أبو الحسن علي بن عمر، قيل عنه: << أوحد عصره في الفهم والحفظ والورع إمام في القراء والمحدثين، لم على أديم الأرض مثله>>، وقال عنه البغدادي:<<كان ثقة>>. –انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص ص43، 44. –أيضاً: البغدادي، المصدر السابق، مج3، ص15.

[6] نـــفســـــه، مج1، ص42.

[7] هو أبو الحسن بن الطيوري المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي البغدادي المحدث، من كبار أئمة النحو اللغة ببغداد. –انظر: شهاب الدين أبو الفلاح بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي بن عماد، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرنؤوط، مج5، ط1، دار بن كثير، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م، ص427.

سوى "تاريخ بغداد" مستفاد من كتب الصُّوري، كان الصُّوري ابتدأ بها، وكانت له أخت بصور خلف أخوها عندها اثني عشر عدلاً من الكتب فحمل الخطيب من كتبه أشياء، وكان الصُّوري قد قسم أوقاته في نيف وثلاثين شيئا >>[1]. وردَّ عليه ابن عساكر[2]بقوله: << ما الخطيب بمفتقر إلى الصُّوري، وهو أحفظ وأوسع رحلة وحديثا ومعرفة >>[3].

وطبيعة مؤلفات الخطيب نصَّ فيها في كل مسألة باستدلال[4]يصح على كل المسائل التي تناولها فاعتمد على الإسناد، الذي ينفي كل اتهامات خصومه في أنَّ نصوصه مستقاة من كتب الصوري حيث قال السِّلْفي[5]: سألت شجاع الذهلي(ت507هـ) عن الخطيب قال: << إمام مصنف، حافظ لم يدرك مثله >>. وابن الجوزي نبَّه أنَّ الخطيب لم يقصر في تأليفاته التي قد تشبه أفكار الصُّوري إلى حدٍّ ما في مؤلفاته، ومعظم كتب الخطيب أساسها الحديث ورجاله[6]، إلى جانب مختلف العلوم التي ألَّف فيها، وتشمل ما يلي:

- باب الحديث:

اهتم البغدادي بجمع الحديث النَّبويّ في كتب و كراريس، وأحيانا بجمع أحاديث كثيرة في مصنف واحد، وأحيانا أخرى يقتصر على حديث واحد، ويذكر طرقه المختلفة، وتَعقُّب أسانيده ومتونه، ويذكر طرقه المختلفة، وبجمع حديث الصحابة أو التابعين في مسند، ومن جهة أخرى يكتفي

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، ص44.

[2] المتوفى سنة 499هـ-571هـ، وهو علي بن الحسن بن هبة **الله** بن عبد **الله** بن الحسين، الدَّمشقي، الشافعي، الإمام، الحافظ محدث الشام، فخر الأئمة، ثقة الدِّين، سمع الحديث ببغداد، مكة، الكوفة، ونيسابور، وقال عنه السَّمعاني: أبو القاسم حافظ ثقة، خيِّر، حسن الصَّمت، جمع بين معرفة المتن والإسناد، صحيح القراءة، ومن مؤلفاته: التاريخ الكبير. -انظر: الدَّمشقي، المصدر السابق، ج4، ص ص105-111.

[3] الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص283.

[4] هو تقرير الدليل لإثبات المدلول سواء كان ذلك من الأثر إلى المؤثر، فيسمى ذلك استدلالاً وهو نوعان. -انظر: الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني، **التعريفات**، تح: محمد باسل عيون السود، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2009م، ص21.

[5] المتوفى سنة 472-576هـ، وهو أبو طاهر عماد الدين بن أحمد بن محمد بن إبراهيم غليظ الشفة. -انظر: ابن عماد، المصدر السابق، مج4، ص81.

[6] البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص ص45-46.

باختيار مصنفات غيره من المحدثين والأخذ بها، وشملت مصادره من كتب الحديث، كل من الأمالي[1] وكتاب فيه حديث" الإمام ضامن، والمؤذن مؤتمن "، وحديث عبد الرحمان بن سمرة وطرقه في جزئيين وحديث النزول، وكتاب فيه حديث: ((نَضَّرَ **الله** اِمرأً سمع مِنَا حَديثاً))، وطريق حديث قبض العلم في ثلاثة أجزاء، وطلب العلم فريضة على كل مسلم، ومجموع حديث أبي إسحاق الشيباني في ثلاثة أجزاء، ومجموع حديث محمد بن حجادة، وبيان بن بشر، وصفوان بن سليم، ومطر الوراق ومسعر بن كدام، وكتاب السُّنن، ومسند أبي الصديق، ومسند نعيم بن همار الغطفاني[2]، وحديث جعفر بن حيان، وحديث الستة من التابعين، وذكر طرقه، والمسلسلات في ثلاثة أجزاء[3]، أمَّا بالنسبة للأحاديث المخرجة، هي كالآتي:

كتاب أطراف الموطأ[4]، وآمالي الجوهري[5]، وتخريج أبي بكر الخطيب، رواية محمد بن البزاز، وفوائد أبو قاسم النرسي، تخريج الخطيب في عشرين جزء، وفوائد عبد **الله** بن علي بن عياض الصوري في أربعة أجزاء[6]، والفوائد المنتخبة الصحاح والغرائب، تخريج الخطيب لأبي القاسم المهرواني[7]، والفوائد المنتخبة

---

[1] منه نسختان ذكرهما بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (الملحق) 564.1، وبقي منه الجزء"5"في مكتبة الظاهرية بدمشق، سوريا، مجموع27 (ق203-204هـ). -انظر: البغدادي، المصدر السابق، ص56.

[2] اختلف في أصل المسند لكلمة همار الذي أورده العمري في موارد الخطيب ص57 بهمار، أمَّا عند يوسف العش، نجد هماز العصاني، وهو في الأصل حماد. -انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص292.

[3] يُعبَّر بلفظ سمعت أو اتفاقهم في الوظيفة، كأنْ يكونوا جمعياً من القضاة، وغير ذلك من أوجه الاتفاق. -انظر: البغدادي، المصدر السابق، ص57.

[4] وكتب الأطراف يذكر طرف الحديث الدال على بقيته. -انظر: نفسه، ص59.

[5] ومنه مجلسان في الظاهرية مجموع 105، (6) في الصفحة. والجوهري هو الحسن بن علي أحد شيوخ البغدادي. -انظر: نفسه، ص ص59-353.

[6] نفسه، ص ص45-64.

[7] منه نسخة في الظاهرية حديث ومجموع47(4)، وتقع في خمسة أجزاء. -انظر: نفسه، ص59 .

الصحاح والعوالي، تخريج الخطيب لجعفر بن أحمد بن الحسين السَّراج القارئ[1]، مجلس من إملاء أبي جعفر محمد بن أحمد بن المسلمة، "تخريج الخطيب"، ومنتخب من حديث أبي بكر الشيرازي وغيره[2].

-مصطلح الحديث[3]:

كان دور الخطيب فيه بارزاً، وصنف في قوانين الرواية كتابا سماه "الكفاية في علم الرواية"[4] وكتاب في آدابها سماه "الجامع لآداب الراوي وأخلاق السامع"[5]، فكان كتاب "الكفاية" أصلا اعتمد عليه كل من صنف بعد البغدادي، لشموله مختلف العلوم، وقام فيه بجمع الأحاديث والآثار التي نقلها عن شيوخه، وعنونها في باب خاص، كما وضع محتويات كتابه "الكفاية" في أبواب خصصت بوجوب الأخذ بالسّنة وطاعة رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم، وأحيانا كان البغدادي يعَقبُ على مختلف النصوص وأحيانا أخرى يكتفي بذكرها دون تصرف في حال كفايتها؛ وكان ينوي إزالة كل الغموض واللُّبس الذي يكتنف نصوص كتب الحديث[6].

ويعتمد على انتقاء الروايات، باستنباط[7] قواعد مصطلح الحديث؛ كما وضع البغدادي كتاب بعنوان "الفصل للوصل المدرج في النقل"، جمع فيه عدة أحاديث منها: أحاديث مرفوعة[8] إلى نبيِّ **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم، اتفق فيها الرواة، ونسب متونها إلى رواتها وأحاديث الرواة المختلفة وضَعهَا بإسناد واحد، رغم اختلاف اللَّفظ والاتفاق في بعضه، فكان الخطيب يشرحه ويبيِّنه ويوضحه

---

[1] منه أجزاء مخطوطة في الظاهرية، وهي الجزء الأول مجموع 31، والجزء الثاني والثالث والرابع والخامس، وبه تمام الكتاب حديث 353 (ق1-60). انظر: البغدادي، المصدر السابق، ص59.

[2] نـــفســـه، ص59.

[3] هو علم بالقوانين يُعرف بها أحوال السّند والمتن. -انظر: نـــفســـه، ص59.

[4] هو كتاب حافل بتحرير مسائل فن الحديث، وبيان قواعد الحديث، ويعتبر من أجلِّ مصادر هذا العلم. -انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص20.

[5] كتاب يبحث في آداب الرواية كما هو موضح من تسميته، وهو فريد في بابه، قَيِّم في أبحاثه ومحتواه. -انظر: نـــفسه، ص20.

[6] أكرم ضياء العمري، **موارد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد**، ط2، دار طيبة، الرياض، السعودية، 1405هـ/ 1985م، ص ص62، 63.

[7] هو استخراج المعاني من النصوص بفرط الذهن وقوة القريحة. -انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص26.

[8] هي ما أخبر الصحابي عن قول رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم. -انظر: نـــفســـه، ص209.

أمَّا كتابه حديث واحد قد يتعدى صفحتين أو أكثر، وكتاب الإجازة للمعدوم والمجهول، وهي رسالة موضوعات مصطلح الحديث تتكون من خمس صفحات، عبارة عن أسئلة وأجوبة في إيجاز المعدوم والمجهول في مصطلح الحديث، وعرض آراء المذاهب الأربعة[1].

فالبغدادي دعم رأيه في ترجيح جواز الإجازة للمعلوم والمجهول، بالأدلة المستقاة من فتاوى كبار فقهاء عصره، أمَّا آداب المحدث فعرضه في خمس مصنفات وهي: اقتضاء العلم العمل[2]، وشرف أصحاب الحديث[3]، والرحلة في طلب العلم، وتقيد العلم[4]، في حين كان البغدادي يعقب على كل مصنف مثل، اقتضاء العلم العمل، وضع له عدة أبواب ذكر فيها: الأخذ بالفضائل من أقوال تقريرية وفعلية عن رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم، وصحابته والعلماء، وترك الرذائل، كطلب الحديث للمفاخرة والشهرة، زَوَّدها بأحاديث، وآثار بأسانيدها، كما قام بإرفاق المعاني في كل باب من موضوعات هذا الكتاب، التي ارتكز جلُّها على علم الرقائق بأشعار لتوضيح المعنى لها، ودلالتها من نصح وتذكير[5].

واستشهد الخطيب بالأحاديث الضعيفة[6] وذكر أسانيدها، أمَّا الرحلة في طلب الحديث، فقد استهل فيها بعدة أحاديث وآثار مختلفة، تؤكد على وجوب الرحلة، وبيان فضلها وذكر فيها رحلات طلب العلم لبلوغ علو الإسناد[7].

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص 63.

[2] طبع في المكتب الإسلامي، بيروت، 1386م، تح: ناصر الدين الألباني، ثم أعيد طبعه بعد ذلك مرات. –انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص291.

[3] طبع بأنقرة بتحقيق محمد سعيد الخطيب أبو علي، 1971م، يحتوي على ثلاث أجزاء. انظر: نفسه، ص289.

[4] يحتوي على ثلاث أجزاء، يُبرهن فيه على أن تقييد الحديث مباح إطلاقا، وقد نشره المعهد الفرنسي بدمشق، سنة1949م، بتحقيق يوسف العش. –انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص ص191، 192.

[5] العمري، المرجع السابق، ص ص64، 65.

[6] هي كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح، ولا صفات الحديث الحسن منها، العدالة، الضبط، الاتصال، فَقَدَ الشذوذ، فقد العلة القادحة. –انظر: ابن عبد الرحمان الشهرُزوري ابن الصلاح، **علوم الحديث**، تح: نور الدين عتر، د.ط، د.م.ط، د.ت، ص41.

[7] العمري، المرجع السابق، ص65.

والأخذ عن كبار الحفاظ، والاستفادة من مناهلهم العلمية[1].

- باب رجال الحديث:

بدأ التصنيف فيه منذ مطلع القرن الثالث هجري، ونشطت حركته حتى عصر البغدادي، حيث ساهمت عدة عوامل في بروز ميدان علم رجال الحديث منها: كثرة الرواة، وبتعاقب الأزمنة، أصبحت الأسانيد طويلة، وكذا الاختلاف الشاسع في الأسماء والكنى، والألقاب والأنساب لرواة الحديث واللجوء إلى ضبطها، وتعددت أساليب ترتيب المادة، وطرق عرضها[2].

فالبغدادي استقاه من شيوخه، وفتاوى كبار فقهاء عصره، لينظم أساليب عرض علم الرجال وتسلسل طرقها، ولم يكن الخطيب سوى ناقل للسابقين، بل أبدع ومحَّص مادته، وتفادى الأخطاء التي وجدها فيما صنفه سابقيه في ميدان علم رجال الحديث، وبذلك اثنا عليه ابن الصلاح[3] فقال: أنَّ كتابه << شفى وكفى>>[4].

ومن مصنفاته في هذا الباب (علم رجال الحديث) نذكر: الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة في جزء قال فيه البغدادي:<< أوردت فيه أحاديث تشمل على قصص منتظمة، ذِكرُ جماعة من الرجال والنساء، أبهمت أسمائهم وكنى عنها، وجاءت في أحاديث أخرى بينة ومحكمة، فجمعت بينها وذكرت أثر كل حديث فيه اسم مبهم حديث فيه بيانه، ورتبت ذلك على نسق حروف المعجم>>. والأسماء المتواطئة، والأنساب المتكافئة، وتلخيص متشابه في الرسم ما أشكل منه عن بوادر التصحيف[5] والوهم، وكتاب تالي التلخيص في أربعة أجزاء، وهو مستدرك على تلخيص المتشابه بما

---

[1] المنجي، المرجع السابق، ص619.

[2] العمري، المرجع السابق، ص69.

[3] هو أبو عمر عثمان بن الصلاح عبد الرحمان الشَّهرزوري، من أعلام الدين، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه وطبقات الحفاظ، تولى تدريس الحديث بالمدرسة الأشرفية من خلال كتابه المشهور "مقدمة ابن الصلاح" الذي عُرف به بين أهل العلم، ولقي كتابه هذا حظ أكسبه منزلة، غير أنَّ كل من العلماء (النووي، ابن كثير، ابن جماعة، والزركشي، العراقي، ابن حجر) من طبقات الحفاظ نافسوه للحدِّ من منزلة كتابه، وتوفى سنة643هـ.-انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص21.

[4] العمري، المرجع السابق، ص69.

[5] هو أن يقرأ الشيء على خلاف ما أراد كاتبه، أو على غير ما أُصطلح عليه. -انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص63.

فاته أولاً، كما يقول ابن حجر، والتبيين لأسماء المدلسين[1]، والتفصيل لمبهم المراسيل في جزء[2]، وتمييز المزيد في متصل الأسانيد في ثمانية أجزاء، ورافع الارتياب في المقلوب من الأسماء والأنساب[3]، وكتاب من حدّث ونسى في جزء[4].

وبهذا نجد البغدادي قد صنف اثنان وعشرين كتابا متنوعاً في علم الرجال، مما يبرز تمكنه في هذا العلم، ويُعدُّ كتابه المعروف بكتاب "السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراوين عن شيخ واحد"[5] نموذجاً فيما صنفه، حيث قال: << هذا كتاب ضمنته ذكر من اشترك في الرواية عنه (راويان) تباين وقت وفاتهما تباينا شديدا، وتأخر موت أحدهما عن الأخر تأخرًا بعيدا، وسميته كتاب السابق واللاحق...المتأخر والمتقدم في روايته، و إن كان غير معدود في أهل عصره، و بجمع هذا الفن يبين فضل علو الإسناد في النفوس، وتواجد لّذة حلاوته في القلوب>>[6].

فالخطيب عرض في كتابه هذا تصنيف المحدثين، على حروف المعجم من أوائل أسمائهم، فبدأ بتراجم المتقدمين، وأخرَّ المتأخرين وفاة، والاستشهاد بروايات الراوين عن شيخ واحد، أمَّا بالنسبة لكتابه "موضح أوهام الجمع والتفريق"[7]، أبرز فيه نقاط شملت: تبيين أوهام المحدثين، واللجوء إلى ترتيب أسماء المحدثين على حسب حروف المعجم، ومراعاة نظام الطبقات ضمن الحرف الواحد في

---

[1] التدليس: رواية الراوي عمن سَمع منه ما لم يُسمع منه بصيغة محتملة السماع. -انظر: العمري، المرجع السابق، ص71.

[2] هو في مبهم الأسانيد والمتون من الرجال والنساء...مرتبات على حروف المعجم حسب الكتاني. انظر: نفسه، ص71.

[3] هو مجلد في معرفة الرواة المتشابهين في الاسم والنسب، المتميزين بالتقديم، والمتأخرين في الأب والابن مثل، يزيد بن الأسود والأسود ابن يزيد كما أوضح ابن الصلاح. -انظر: نفسه، ص72.

[4] قام الحافظ السيوطي بتصنيف مخطوط شابهه بعنوان المؤتسي بمن حدث ونسي. -انظر: نفسه، ص73.

[5] هو كتاب نفيس لا يضاهي تصنيفه أحد دون البغدادي، نشر بدار طيبة بالرياض، تحقيق ودراسة محمد بن مطهر الزهراني. -انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص280.

[6] العمري، المرجع السابق، ص ص73، 74.

[7] اسمه الواضح في أربعة عشر جزء، طبع في صدر آباد الدكن بالهند عام 1959-1960م.-انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص290.

حال تضخم عدد الرواة، والتشابه في الأسماء، والكنى، الألقاب والأنساب، أوجب التفريق بوصفٍ أو تعدده إلى اثنين أو أكثر[1].

-باب التاريخ:

قال السمعاني: <<التاريخ[2]منه جزء، وستة أجزاء>>. يعتبر التاريخ شامل متسلسل بفروعه كعلم الحديث الذي يليه علم الرجال، وضع أساساً لخدمة هذا الأخير، وبهذا نجد أنَّ الخطيب البغدادي لم يقتصر في تدوين التاريخ الذي تناول فيه عدة موضوعات تاريخية، ألاَّ وهي كتاب **"تاريخ بغداد"**، الذي احتوى على خطط بغداد، تراجم الخلفاء، والأمراء، الوزراء، القادة والقضاة، مع العلم أنَّهُ اهتم بأعيان مدينة بغداد، خاصة المحدثين منهم، كما صنف في تراجم بعض مشاهير العلماء ونلمس ذلك في كتابين: مناقب الشافعي، ومناقب أحمد بن حنبل[3].

-باب العقائد[4]:

تناول الخطيب البغدادي في العقائد، جزئيات منها موضوع الصفات كجزء من موضوعات الإلهيات، وذم التنجيم ومعتقديه في رسائل، مسألة الكلام في الصفات(الإلهيات) ومسألة القول في علم النجوم (ذم التنجيم)[5].

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص74.

[2] طبع في أربعة عشر مجلدا في مطبعة السعادة في القاهرة عام 1931م، على أساس مخطوطة كوبرلي 1022-1026م، وقد حدث سقط في القسم الخاص بالمحمدين، يشمل على أكثر من ثلاث مئة ترجمة، ولكن استدرك في المجلد الخامس صفحة (231-477).وقد ذيل على تاريخ بغداد أبو سعد السمعاني (ت562)، وأيضا ابن النجار(ت643هـ) ذيل كتابه بعنوان: **"المستفاد من ذيل تاريخ بغداد"**، وأحمد بن أبيك الدمياطي(ت749هـ)، وأبو الفتح بن محمد البنداري (ت623هـ) ذيلوا على **"تاريخ بغداد"**، ونجد كذلك مختصرات **"تاريخ بغداد"**.-انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص289.

[3] العمري، المرجع السابق، ص76.

[4] شملت موضوعات في الإلهيات والنبوات والسمعيات والروحيات. -انظر: نفسه، ص ص76-77.

[5] نفسه، ص77.

-أصول الفقه[1]:

اهتم الخطيب بالفقه وأولاه عناية منذ صباه، تناول أصوله وفروعه سواءً في المعاملات ومن مؤلفاته في أصول الفقه نجد، كتاب "الفقه والمتفقه"، والدلائل والشواهد على صحة العمل بخبر الواحد، ويضاهي كتاب "الفقيه والمتفقه"[2] في الأهمية كتاب "الكفاية في معرفة علم الرواية"، واعتمد في أسانيده على عدة أقوال لكبار العلماء منهم، الإمام الشافعي، وابن قتيبة الدَّيْنُورِي.

-باب الفقه[3]:

عالج البغدادي في الفقه رسائل وكتب فرعية، وعناوينها تؤكد ذلك، ومن أهم كتبه الفقهية "الحيل"[4]، ويعتبر هذا الأخير شاملا لموضوعات الفقه إلَّا أنَّه مفقود، لم يعرف مضمونه، ومن أهمِّ مصنفاته الفقهية، نجد نهج الصواب في أن التسمية آية من فاتحة الكتاب في جزأين، والنكاح يعتبر ولي في جزء، وذكر صلاة التسبيح، إذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة، والجهر ببسم **الله** الرحمان الرحيم في الصلاة في جزأين، والغسل للجمعة في جزأين، القضاء باليمين مع الشاهد[5] في جزأين، النهي عن صوم يوم الشك في جزء، القنوت في ثلاث أجزاء، الوضوء من مس الذكر، مسألة الاحتجاج للشافعي في جزء[6].

---

[1] من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً، وأكثرها فائدة، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تُأخذُ منها الأحكام والتآليف، وأصول الأدلة الشرعية، وهي الكتاب الذي هو القرآن ثم السُّنة المبينة له. -انظر: عبد الرحمان بن خلدون، **تاريخ بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن خليل شحادة، مر: سهيل زكار، ج1، د.ط، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ص573.

[2] طبع بعناية الشيخ إسماعيل الأنصاري في مطابع القصيم بالرياض عام 1389م.-انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص291.

[3] هو معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد. -انظر: تاج الدين بن الفركاج، **شرح الورقات**، تح: محمد حسن إسماعيل، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2008م، ص12.

[4] في الأصل"الخيل"بالخاء المعجمة والمثبت من "تذكرة الحفاظ"1140/1، وهو الذي أثبته العمري "في موارد الخطيب". -انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص291 .

[5] في معجم الأدباء=الدلائل والشواهد على صحة العمل باليمين مع الشاهد. انظر: نفسه، ص291.

[6] في معجم الأدباء=الاحتجاج للشافعي فيما اسند إليه والرد على الطاعنين بجهلهم عليه. -انظر: نفسه، ص291.

-الزُّهد والرقائق[1]:

لجأ الخطيب في مصنفاته المتعلقة بآداب المحدث إلى معالجة موضوعات الرقائق والزُّهد، إذّ قام بإعداد رسائل مستقلة تتضمن هذه المواضيع، إلاَّ أنَّها لا تعتبر مؤلفات شاملة كالإحياء للإمام الغزالي[2]، ومن أهم مصادر مؤلفاته في الرقائق نذكر: بيان أهل الدرجات العلى والمنتخب من الزهد والرقائق[3].

- باب الأدب:

لقي الأدب حظًا وافرًا ضمن مؤلفات الخطيب، إذّ تطرق فيه لمواضيع في الشعر والنثر، واستقى فيه روايات الأدباء والشعراء فكان يقتبس أبيات شعرية في مصنفاته وإثراءً، وتحفيزًا للقارئ على متعة الاطلاع، إضافة إلى بعض الطوائف واللطائف، استشهد بها في العديد من المجالس العلمية، وفي هذا الباب كان للخطيب ثلاثة كتب وهي، التنبيه والتوقيف على فضائل الخريف البخلاء[4]، التطفيل[5]. وفي هذا العلم برع خيِّرة العلماء، الذين سبقوا البغدادي في التأليف، إذّ تألق كل واحد منهم كالجاحظ[6].

---

[1] هي من الفعل رقَّ، والرقة ضد الغلظة جمعها رقائق. تح: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، **لسان العرب**، مج10، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص121.

[2] هو أبو حامد محمد بن أحمد الغزالي، الملقب حجة الإسلام زين الدين الطوسي الفقيه الشافعي، لم يكن للطائفة الشافعية في آخر عصره مثله، له مصنفات منها الوسيط، الخلاصة في الفقه، وإحياء علوم الدين، وهو من أنفس الكتب وأجلها. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص217.

[3] العمري، المرجع السابق، ص81.

[4] في أربعة أجزاء، طبع بتحقيق محمد مطلوب، وخديجة الحديثي، وأحمد ناجي القيسي في مطبعة العالي ببغداد، 1964. -انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص291.

[5] اسمه الكامل "التطفيل وحكايات الطفيليين"، وأخبارهم ونوادر كلامهم وأشعارهم، نشره حسام الدين بدمشق سنة1346، طبع من قبل كاظم المظفر في المطبعة الحيدرية، بالنجف سنة 1966م.-انظر: نفسه، ص290.

[6]المتوفى سنة 163-255هـ، فهو عمرو بن بحر بن محبوب الكنائي الليثي، من كبار أئمة الأدب والبيان زعيم الفرقة الجاحظية. انظر: محمد علي التهانوي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج، ج1، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ص135.

والأصمعي[1]، والمدائني[2]، علماً أنَّ الخطيب اعتمد على كبار المؤلفين في الأدب مثل أبي الفرج الأصبهاني[3]، صاحب كتاب "الأغاني"، وأبي بكر بن الأنباري، وهذا الأخير لم يسمي مصنفه الذي اقتبس منه، حيث ذكر السمعاني أنَّ الخطيب صنف قريباً من مائة مصنف، أيٌّ هناك مصنفات أخرى للخطيب لم تذكرها المصادر[4].

ومن جملة مصنفات البغدادي، المؤتلف والمختلف في أربعة وعشرين جزء، والمتفق والمفترق[5] في ثمانية عشر جزءً، والمكتمل في بيان المهمل وسهو أصحاب الحديث ومن وافقته كنيته اسم أبيه، وكتاب قبض العلم[6]، أيضا نجد مسند محمد بن سوقة في أربعة أجزاء، الربعيات[7] في ثلاثة أجزاء الرواة عن مالك مجلد، والرواة عن شعبة مجلد، غنية المقتبس في تمييز الملتبس مجلد[8]؛ وورد في ذكر ابن ماكولا:<<كان أبو بكر آخر الأعيان، ممن شاهدنا معرفة وحفظا وإتقانا وضبطاً لـرسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم، وتفنناً في عللـه وأسانيده، وعلمًا بـصحيحـه وغريبـه، وفـرده ومنـكـره ومطروحـه[9].

---

[1] هو أبو سعد عبد الملك بن علي بن أصمع المعروف بالأصمعي الباهلي، صاحب لّغة ونحوٍ، وإمام في الأخبار والنوادر، وهو من البصرة، قدم بغداد في أيام هارون الرشيد. –انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص ص170، 171.

[2] المتوفى سنة 135–225هـ/752–840م، فهو علي بن محمد بن عبد **الله** أبو الحسن المدائني، مؤرخ كثير التصنيف، قال فيه ابن تغري بردي<<وتاريخه أحسن التواريخ وعنه أخذ الناس تواريخهم >>. من كتبه الشعراء، التعازي. –انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج4، ص323.

[3] هو أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم القرشي الأموي، الكاتب الأصبهاني من أعيان الأدباء، كان يحفظ من الشعر والأغاني، الأخبار، الآثار، الأحاديث المسندة، النسب، اللّغة، والنحو، ما لم يحفظ أحد مثله. –انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص370.

[4] الـعمـري، المرجع السابق، ص82 وما بعدها.

[5] يوجد في مكتبة أسعد أفندي بإستنبول الرقم 2097، علق عليه الميمني بأنَّه عبارة عن239 ورقة عتيق نـادر، كما جـاء في مذكرات الميمني. –انظر: نـفسـه، ص82.

[6] أحمد بن أبيك بن عبد **الله** الحسني بن الديماطي، **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، تح: قيصر أبو فرح دي–فل، ط1، دار المعارف العثمانية، الهند، 1399هـ/1979م، ص ص58، 59.

[7] هي الأحاديث التي عُدِّد رجالها بسلسلة، سندها أربعة رجال، ويراد بها بيان علو الإسناد. انظر: العمري، المرجع السابق، ص75.

[8] الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص ص1140، 1141.

[9] الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص285.

ولم يكن للبغداديين بعد أبي الحسن الدارقطني مثله>>، سألت أبا عبد **الله** الصُّوري عن الخطيب وأبي نصر السّجزي: أيهما أحفظ؟ ففضل الخطيب تفضيلا بينًا[1] وفي تصانيف الخطيب يقول السِّلْفي:

تـصانيف ابـن ثابت الخطيب ألّذ من الصِّبا الغضِّ الرطيب

يراهـا إذا رواهـا من حواهـا ريـاض للفتى اليقظ الـلبيب

ويأخذ حسن ما قد ضاع منها بقلب الحافظ الفطن الأريب

فـأبت راحـة ونعيم عيـش يـوازى عيشهـا بل أيُّ طِيبِ[2].

[1] الذّهبـيّ، المصدر السابق، ص285.

[2] السّبكي، المصدر السابق، ج4، ص33.

ثالثا –شيوخ الخطيب البغدادي:

ذكر لنا الخطيب في مصنفاته أهم ما انتقاه من شيوخه الكبار في علم الرجال والحديث، وبين مختلف فتاواهم في العديد من العلوم التي برعوا فيها مثل علم الرجال، والجرح والتعديل موضحاً بذلك أحوال المعاصرين أو القريبين من طبقتهم، وأبرز هؤلاء الشيوخ الذين أكثر النقل عنهم في تدوين جلِّ مصنفاته مايلي[1]:

1–أبو الحسن محمد بن محمد بن رزق (ت325 – 412هـ):

يعرف بابن زرقويه، أثنى عليه البغدادي بقوله:<<كان ثقة، كثير السماع والكتابة، حسن الاعتقاد، مديماً للتلاوة، أملى بجامع المدينة مدة سنتين>>[2]."وهو أول شيخ كتبت عنه أول ما سمعت منه في سنة ثلاث وأربعمائة، وكتبت عنه إملاءً مجلساً واحدً، ثم انقطعت عنه إلى أول سنة ست، وعدت فوجدته قد كُفَّ بصره فلازمته إلى آخر عمره".

وقد روى عنه الخطيب بلفظ، حدثنا، وأخبرنا، حدثني، وسمعت، ونقلت من أصل، أخبرنا إجازة[3]، وفي رواية أخرى عنه ذكر الخطيب بقوله: << حدثنا عبد **الله** بن محمد بن رزق، قال: سئل أحمد بن الحسين السكري الحافظ وأنا جالس: من أحبُّ إليك في أصحاب الأعمش؟ قال: أبو معاوية أعرف به، وبعده الثوري، وبعده شعبة والياقوت بعده >>[4].

2–اللالكائي، هبة الله الحسين بن منصور(ت418هـ–1027م):

هو هبة **اللَّه** بن الحسين بن منصور الرازي الطبري اللالكائي، المعروف بأبي القاسم واللالكائي في قول الزبيري "منسوب إلى بيع اللوالك التي تلبس في الأرجل على خلاف القياس". وذكر ابن الجوزي، أنَّ اللالكائي بحذف اللام، وقال: أنَّه طبري الأصل نسبة إلى طبرستان، واشتهر

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص459.

[2] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص66.

[3] العمري، المرجع السابق، ص468.

[4] البغدادي، المصدر السابق، مج3، ص138.

اللالكائي بعلم الحديث والفقه، ومن مؤلفاته: كرامات أولياء **الله**[1]، أسماء رجال الصحيحين، وفوائد في اختيار أبي القاسم، السنن، شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة[2].

وروى الخطيب عن شيخه75موضعاً منه 26 موضع لم يستعمل اللالكائي الإسناد فيها، وبقيتها أسندها إلى عدد كبير من شيوخه، وقد بيَّن الخطيب من خلال ما استقاه من مصنف رجال الحديث وجرحهم وتعديلهم، مكانتهم، وظائفهم، ثقافتهم، وتواريخ وفياتهم، ومولدهم، كما أسند أحاديث نّبوية فيها تتعلق بإدراج الأسماء[3].

3-أحمد **بن أحمد البُرقاني الخوارزمي(ت336-425هـ)**:

هو أبو بكر البُرقاني يعدُّ من كبار الشافعية، تفقه على أبي الحسن المحاملي، والقاضي أبي الطيب الطبري[4]، فهو يعتبر مصدر ثقة للخطيب، وذو مكانة جليلة عنده، كان يسمع منه وفي الحديث عن ذلك نذكر، أنَّ البرقاني حمَّلَ الخطيب رسالة توصية إلى أبي نعيم الأصبهاني في رحلته الأولى إلى المشرق[5]، ومن جهة أخرى كان البرقاني يُعدد فضائل الخطيب، ويضمن أحاديثه في رواياته والشاهد على ذلك قول الخطيب:<<كنت أذاكر أبا بكر البرقاني بالأحاديث فيكتبها عني ويضمنها جموعه وحدث عني وأنا أسمع وفي غيبتي>>[6].

فروى البغدادي عن البرقاني في كتابه المعروف بتاريخ مدينة السلام 598 رواية بأسانيد مختلفة[7]، ومن العبارات التي أوردها الخطيب حين أوجز ما قيل في مصنفات شيخه نذكر: حدثنا حدثني، أخبرنا، أخبرني، ذكر لنا، سألت، قرأت على، وقرأت في كتاب البرقاني بخطه، كما نجد أنَّ للبرقاني296 نّص مسند لشيوخه، ولاحظ الخطيب ما ضمَّنه البرقاني في جمعه، لعلم رجال الحديث

---

[1] رسالة قصيرة قدرت ب 42 صفحة. -انظر: المنجي، المرجع السابق، مج2، ص309.

[2] نفسه، ص307.

[3] العمري، المرجع السابق، ص461.

[4] السَّبكي، المصدر السابق، ج5، ص33.

[5] العمري، المرجع السابق، ص462.

[6] الذّهبيّ، المصدر السابق، ج18، ص275.

[7] المنجي، المرجع السابق، مج1، ص619.

بإبراز مكانتهم بقوله:<<محمد بن عبد **اللّه** بن المبارك، مخضرمي ثقة>>، وثقافتهم بقوله: << محمد بن عبد **الله** ابن المبارك كان حافظاً متقناً >>[1].

4 –الحسين بن الحسين المعروف بابن دوما النعالي (ت431هـ):

أخذ الخطيب عن شيخه ابن دوما 49نصاً، إلى جانب أنَّ النعالي، كان يستعمل في نقل رواياته عن شيوخه ألفاظ منها، أخبرنا، قال لنا، سألت، قرأت في أصل كتابه، حيث نسبها إلى محمد بن الحسن بن علي اليقطيني في ثماني نصوص من جُلُّ شيوخه[2]، كما قال فيه البغدادي <<وكان كثير السماع إلَّا أنَّه أفسد مرة بأنْ ألحق لنفسه السماع في أشياء لم تكن لسماعه>>[3].

روى البغدادي عن شيخه، مقتطفات بعض مصنفاته في رجال الحديث في ذكر تواريخ وفياتهم، ومواضع قبورهم، ومثال ذلك، أخبرنا الحسن بن الحسين بن العباس قال:...مات عبد الملك ابن أبي سليمان، وهشام بن عروة، ببغداد سنة خمس وأربعين ومائة، ودفن بسوق يحي[4]، كما ذكر في رواياته فضائلهم منها قوله:<< سمعت...يقول: إذا أردت أن تذكر فضائل عليٍّ بن أبي طالب فابدأ بفضائل أبي بكر[5]، وعمر، ثم اذكر فضائل عليٍّ[6] >>.وفي ذكر الأحاديث النَّبوية أورد البغدادي عن شيخه بلفظ، أخبرنا الحسن بن الحسين النعالي قال: حدثنا... عن النَّبي صلَّى **الله** عليه وسلم في

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، مج3، ص492.

[2] العمري، المرجع السابق، ص463.

[3] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص154.

[4] البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص494.

[5] هو أبو بكر بن عبد **الله** بن عثمان بن عمرو بن كعب، بن سعد، بن تميم، بن مرة، بن كعب، بن لؤيّ، بن غالب، بويع له يوم وفاة رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم، توفي في 13من الهجرة، فكانت خلافته سنتين وأربعة، وأشهر، وعشرة أيام. –انظر: محمد بن علي بن محمد بن العمراني، **الأنباء في تاريخ الخلفاء**، تح: قاسم السامرائي، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1419هـ/1919م، ص ص47، 48.

[6] المتوفى سنة40هـ فهو ابن عبد المطلب الهاشمي القرشي أبو الحسن، رابع الخلفاء الراشدين، أحد العشرة المبشرين بالجنة، ابن عم نبيّ **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم وصهره، كان أول الناس إسلاماً بعد خديجة أم المؤمنين. –انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص12.

قولـه تعالى: ﴿ فإنَّ **الله** هُوَ مَولَاْه وَجبْرِيلُ وَصَالِحُ المؤمِنين ﴾[1].قال: << من صالح المؤمنين أبو بكر وعمـر >>[2].

5–الحسين بن علي الصَيْمَري القاضي(ت439هـ):

هو أبو عبد **الله** الصيمري–بفتح الصاء المهملة والميم، وسكون الياء وراء آخره نسبة إلى صَيْمَر نهر بالبصرة عليه عدة قرى[3]–شيخ الحنفية العلامة المحدث، الخلال، الحافظ المفيد، الإمام الثقة[4]، وروى عنه البغدادي بقوله:<< كان أحد الفقهاء المذكورين من العراقيين، حسن العبارة، جيّد النظر،...كتبت عنه، وكان صدوقاً وافر العقل...>>[5].خرَّج المسند على الصحيحين، جمع أبوابا وتراجم كثيرة ومن مصنفاته [6]،كتاب "اشتقاق الأسماء"، "أخبار الثقات"، "الأمالي"، "كرامات الأولياء" يقع في25 صفحة، وذكر فيه أحاديث نبوية، وأخرى أحاديث على الصالحين الصوفيين، كما نقل البغدادي عن شيخه 255 موضعاً إلى جانب مقتطفات مصنفاته التي عبر فيها بلفظ، حدثني، قال لي، سمعت، أخبرني، وكانت له روايات مسندة، وغير مسندة، وهذه الأخيرة تناولت تواريخ وفيات شيوخه، وأقرانه من المحدثين، طبقاتهم، أخلاقهم، وعاداتهم، وبعض الروايات في الرقائق، الشعر والأحاديث النبوية في71حديثا[7].

كما أوردَ الخطيب عن الصِّميري إسنادً تضمن نصُّه التعرف على عبد **الله** بن بكر السهمي جاء فيه أخبرنا الحسين بن علي الصِّيْمَري قال: حدثنا علي بن الحسين الرازي، قال: حدثنا بن زهير قال: سئل يحي بن معين عن عبد **الله** بن بكر السّهمي قال: إنَّه صالح[8].

---

[1] سـورة الـتـحريـم الآيـة (04).

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج2، ص ص74–132.

[3] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص178.

[4] الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص1109.

[5] العمري، المرجع السابق، ص464.

[6] ابن عماد، المصدر السابق، ص167.

[7] العمري، المرجع السابق، ص472.

[8] البغدادي، المصدر السابق، مج11، ص78.

6–أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الحربي السِّمْسَار المعروف بابن قشيش(ت437هـ):

قال فيه الكتاني: كان فيه تساهل، ويذهب إلى التشيع، انتهى إليه علو الإسناد بالشام[1]، واعتبر السِّمسار المعروف بابن قشيش مالكي المذهب حدث عنه الخطيب في 44موضعاً، وقد اعتمد السِّمسار على كتاب الوفيات لابن قانع، وكتاب الضعفاء لعلي بن المدن، فالبغدادي استند إلى روايات شيخه من هذين الكتابين، ومن أكبر شيوخ السِّمسار نذكر: أبو بكر بن محمد بن عبد **الله** الأبهري، اعتمد عليه في17موضعاً لإسناد رواياته[2].

7–الحسين بن علي أبو الفرج الطناجيري البغدادي(ت439هـ):

شيخ روى القراءة عن ابن شاهين، وأحمد بن الحسين بن شاذان، كما رُويَّ في رواية الإمام محمد بن إدريس الشافعي[3]، قال فيه البغدادي:<<كتبت عنه وكان ديِّناً مستورًا ثقة صدوقًا>>. وأسند الطناجيري 20موضعاً عن شيوخه تضمنت الأحاديث النبوية[4]، ففي رواية عنه قال: حدثني ...قال: عن أبي هريرة...: قال رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم: ((السخاء شجرة في الجنَّة فمن كان سخيًا أخذ بغصن منها، فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنَّة، والشُّحُ شجرة في النَّار فمن كان شحيحًا أخذ بغصن من أغصانها فلم يتركه الغصن، حتى يدخله النَّار))[5]، إلى جانب مادته المتعلقة بعلم رجال الحديث، والأشعار والأنساب، ومن عباراته في الإسناد، أخبرني، أخبرنا، وأنبأنا.[6]

8**–أبو عبد الله محمد بن علي الصُّوري(ت441/376هـ):** هو محمد بن علي بن عبد **الله** بن محمد أبو عبد **الله** الصُّوري، من أهل صور، تلقى الحديث بالكوفة على يد أربعمائة شيخ أكثرهم من

---

[1] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص161.

[2] العمري، المرجع السابق، ص ص463، 464.

[3] ابن عماد، المصدر السابق، ص223.

[4] العمري، المرجع السابق، ص464.

[5] أحمد بن الحسين البيهقي، **شُعَبُ الإيمان**، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م، ص435.

[6] العمري، المرجع السابق، ص464.

المصريين والشاميين[1]، الحافظ العلامة الأوحد، قال فيه الوليد الباجي[2]:<<الصُّوري أحفظ ما رأيناه>>. كان حسن الخلق مرحاً ضحاكً[3]، وروى عنه الخطيب بقوله:<<...كان دقيق، صحيح النقل...صدوقاً، كتبت عنه وكتب عني شيئا كثيراً >>. كما أورد عنه 108مواضعاً إلى جانب مقتطفات بعض المصنفات التي رواها بمقارنتها مع بعضها للكشف عن تزوير بعض روايات الحديث المسموعة[4]، على الأمالي، ذكر تاريخ الوفيات، والمواليد وأحيانا مواضع القبور، علماً أنَّ الصُّوري هو الذي اتهم البغدادي بانتحال مصنفاته من شيخه الطَّيوري وهذا ما فندته مختلف المصادر[5].

9-القاضي أبو الطيِّب الطَّبري الفقيه الشافعي(ت348-450هـ):

هو الإمام الجليل القاضي أبو الطيِّب الطَّبري، أحد حملة المذهب الشافعي، ولد بآمل طبرستان[6] قال فيه البغدادي: كان عارفاً بالأصول والفروع، محققاً، صحيح المذهب[7]، صاحب ابن القاص[8] وقرأ على أبي سعيد الإسماعيلي، وأبي القاسم بن كجّ، ومن شيوخه بينسابور أبي الحسن الماسرجيسي[9] ومن شيوخه ببغداد الحافظ أبي الحسن الدارقطني، ومن تلامذته الخطيب أبو بكر البغدادي، وأبو إسحاق الشيرازي، وأحمد بن عبد الجبار الطّيوري، صنف في الخلاف، المذهب، الجدل، والأصول كتباً كثيرة، وقد عُرف بكتَّاب المنهاج، روى عنه الشيرازي بقوله:<< ومنهم شيخنا وأستاذنا أبو

---

[1] الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص ص275، 276.

[2] المتوفى سنة474هـ، وهو سليمان بن خلف بن سعيد التجيبي القرطبي الذهبي، صاحب التصانيف برع في الحديث، وعلله ورجاله والفقه، وعلم الكلام. -انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص60.

[3] الذّهبيّ، المصدر السابق، ج14، ص ص464-465.

[4] العمري، المرجع السابق، ص ص654-664.

[5] نـــفســـه، ص464.

[6] السّبكي، المصدر السابق، ج5، ص12.

[7] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص216.

[8] المتوفى سنة 335هـ وهو أبو العباس أحمد بن أحمد الطبري، الفقيه الشافعي، صنف الكثير من الكتب، منها التلخيص والمواقيت، عرف والده بالقاص، لأنَّه كان يقص الأخبار والآثار. -انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج1، ص68.

[9] المتوفى سنة 313هـ، وهو أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين بن عيسى الماسرجسيي، الإمام المحدث العَلِمُ الثقة، انظر: الذّهبيّ، المصدر السابق، ص405.

الطيِّب توفي عن مائة وستين، ولم يختل عقله، ولا تغير فهمه، يفتي مع الفقهاء، ويستدرك عليهم الخطأ، ويقضي ويشهد ويحضر المواكب إلى أن مات>>[1].

10–أبو محمد الحسن بن علي الجوهري(ت323–454هـ):

قال البغدادي:<< كتبنا عنه وكان ثقة أمينا كثير السماع >>[2]. قال عنه الذهبي: <<مسند الآفاق...وكان آخر أصحاب القطيعي>>[3]. كما أسند إليه البغدادي 74موضعاً إلى جانب مقتطفات بعض المصنفات[4]، التي رواها الجوهري التي تكلم فيها عن شيوخه من رجال الحديث، مبيّناً مكانتهم، وأخلاقهم، بقول الجوهري: أخبرنا.... دخل العباس بن الحسين العلوي العباسي على المأمون فتكلم فأحسن، فقال له المأمون: **والله** ما علمتك إلاَّ تقول فتحسن، وتَشْهَدْ فَتُزَيّنْ وتُعيبْ فَتُؤَمَّنْ[5]، كما أوردَ في تلك المقتطفات عبادتهم، وعقائدهم، والبعض الآخر يتناول الشعر والأدب والرقائق[6].

11–الدربندي أبو الوليد الحسن البُلخي(ت456هـ):

هو أبو الوليد الحسن بن محمد بن علي البُلخي[7]، والدربندي نسبة إلى دربند، وهو باب الأبواب[8]، فالبُلخي سمع أبا عبد **الله** الفجار، وأبا الحسين بن بشران ببغداد، وعبد الرحمان بن أبي نصر التميمي، حدَّث عنه الخطيب وأبو الحداد، وأبو القاسم الشُّحامي، رحل إلى الإسكندرية، بلخ[9]

---

[1] السّبكي، المصدر السابق، ج5، ص ص12، 13.

[2] العمري، المرجع السابق، ص466.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص1128.

[4] العمري، المرجع السابق، ص466.

[5] البغدادي، المصدر السابق، مج14، ص8.

[6] العمري، المرجع السابق، ص467.

[7] الذهبي، المصدر السابق، ص1155.

[8] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص242.

[9] هي مدينة بخرسان، طولها 115 درجة، وعرضها 37 درجة. انظر: ابن سينا، **القانون في الطِّب**، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1420هـ/1999م، ص12.

نيسابور، ومصر، لطلب العلم، قال فيه ابن النجار:<< رحل من وراء النهر إلى الإسكندرية، وكان رديء الخط>>[1]، روى عنه عبد الغافر بقوله: << طوق أبو الوليد البلاد وحصلَّ الأسانيد والغرائب>>[2]. وروى عنه البغدادي 44نصاً، منها ترجمة الإمام البخاري[3] صاحب "الصحيح" وأخلاقه حفظه، مصنفاته، ومقارنته بأقرانه، إلى جانب أخبار المحدثين الكبار[4].

12–أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني الدمشقي الصوفي(ت389هـ–466هـ):

هو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي التميمي الدمشقي الصوفي، حدث عنه الخطيب البغدادي، ثقة، أمين، وقال فيه ابن ماكولا:<<كتب عني وكتبت عنه، وهو مكثر متقن>>[5]، جمع وصنف، ومن مؤلفاته الوفيات، فكان مديماً للتلاوة، مُكباً على طلب الحديث[6]، وروى عنه البغدادي في 30 موضعاً تناولت شيوخه، وبعض الأحاديث النَّبوية، وأقوال في الرقائق والتصوف، لا تحتوي على تواريخ الوفيات، والتي تفند أنَّها من أصل كتابه الوفيات[7].

13–عبد الملك بن عبد الله بن بشران(ت430هـ):

هو أبو القاسم عبد الملك بن محمد بن بشران البغدادي، مسند العراق، الواعظ[8]، قال فيه البغدادي: <<كتبنا عنه وكان صدوقاً، ثَبتاً، صالحا>>. كما روى عنه في 48 موضعاً التي أسندها

---

[1] الدمشقي، المصدر السابق، ج3، ص353.

[2] الذهبي، المصدر السابق، ص1115.

[3] المتوفى سنة256هـ وهو محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي أبو عبد **الله**، جيلُ الحفظ، إمام الدنيا ثقة الحديث. –انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص29.

[4] العمري، المرجع السابق، ص467.

[5] الدمشقي، المصدر السابق، ص ص364، 365.

[6] الذّهبّي، المصدر السابق، ص249.

[7] العمري، المرجع السابق، ص467.

[8] الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص1097.

إلى شيخه من بينهم أحمد ابن الفضل بن العباس بن خزيمة، أسنده في15موضع، تتناول مقتطفات بعض المصنفات، في علم الرجال، جرحهم وتعديلهم، وذكر مولدهم، ووفياتهم[1].

14–أبو الحسن محمد بن الحسن بن الفضل الأزرق المتوني(ت415هـ):

هو القطان الثقة[2]، روى عنه البغدادي76موضعاً، وعبر في إسناده لها بلفظ حدثنا، أخبرنا سمعت، ومن شيوخ القطان، الذين روى عنهم في حوالي 20موضعاً، أحمد بن عثمان بن يحي الآدمي في17نصاً[3]، وإسماعيل الصفار ومحمد بن يحي بن علي بن حرب وطبقته، كان مكثراً[4]، إلى جانب الروايات غير المسندة التي تناولت تواريخ، وأماكن وفيات المحدثين من شيوخه وأقرانه، في حين أسند روايات علم رجال الحديث، وموضع مكانتهم، عقائدهم، جرحهم وتعديلهم، طبقتهم، ومولدهم وفياتهم، والأحاديث النبوية في 38موضعاً[5]، منها: أخبرنا محمد بن الحسين القطان...قال: عن أبي بكر الصديق قال رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم :<< كُفو **بالله** ادعاء نسب لا يعرف، وكفرٍ **بالله** انتقاء من نسب وإنٌّ دقّ>>[6].

15–علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحمامي(ت431هـ):

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحمامي مغربي العصر ببغداد[7]، الشيخ الصالح مسند الوقت، كان أول سماعه الحديث سنة459هـ، حدث عنه العديد من المحدثين من بينهم، السلفي، ابن عساكر، السمعاني، وغيرهم[8].

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص467.

[2] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص80.

[3] العمري، المرجع السابق، ص468.

[4] ابن عماد، المصدر السابق، ص80.

[5] العمري، المرجع السابق، ص486.

[6] البغدادي، المصدر السابق، مج4، ص ص242، 243.

[7] الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص1073.

[8] الذّهبّي، المصدر السابق، ج20، ص246.

أخذ منه البغدادي 42موضعاً بلفظ، أخبرنا، أنبأنا، كما أورد في مقتطفات العديد من مصنفاته تواريخ وفيات المحدثين، وقراء معظمهم من طبقة شيوخه، والأحاديث النَّبوية، في14موضع، وأخبار الشعراء، وحدث عنه بقوله: << تفرَّد بأسانيد القراءات وعلوها في وقته>>[1].

16- أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد الواسطي المقريء (ت431هـ) :

هو محمد بن علي بن أحمد بن يعقوب القاضي المقرئ المحدث[2]، نشأ بواسط[3]، نزل بغداد والكوفة والدّينور، أخذ عن أبي علي بن حبش، وجمع الكثير من الحديث، ترجم لعدة شيوخ، روى عنه البغدادي بأنَّه كان ينسب القراءات لغير راويها، في قوله: <<فكان أهل العلم بالقراءات ممن أدركناهم يقدحون فيه، ويطعنون عليه فيما يرونه، ويذكرون أنَّه روى عن ابن حبش رواية لم تكن عنده، وزعم أنَّه قرأ بها عليه، وسمعت أبا يعلي محمد بن الحسن السّراج، وكان أحد من يرجع إليه في شأن القراءات، وعلم رواياتها، يذكره ذكراً غير جميل>>[4].

أورد البغدادي عن شيخه أبو العلاء الواسطي220 موضعاً، ماعدا43 موضعاً، لم يسنده بشيوخه وأقرانه المحدثين، أمَّا المسند منها نجد17موضعاً، تتناول رجال الحديث، وتواريخهم، وفياتهم، عقائدهم ومكانتهم، إلى جانب الشعر، الأدب، والأحاديث النَّبوية 86حديثاً [5].

17- أبو طالب عمر بن إبراهيم الزَّهري الفقيه الشافعي ابن حمامة(ت434هـ): قال فيه البغدادي: <<كتبنا عنه وكان ثقة >>،كما روى عنه81 موضعاً، عبر فيها بلفظ حدثني، وأخبرني

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص486.

[2] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص155.

[3] سميت بذلك لأنَّها متوسطة بين البصرة والكوفة؛ قال المنجمون: طول واسط إحدى وسبعون درجة وثلثان، وعرضها اثنتان وثلاثون درجة وثُلث، وقيل للعرب سبعة أواسط: واسط نجد، واسط الحجاز، واسط الجزيرة، واسط اليمامة، واسط العراق، إذّ شرع الحداد في عمارة واسط سنة 84هـ، وانتهى منها سنة86هـ، حينئذٍ كتب إلى عبد الملك يقول: إني اتخذت مدينة في كرش من الأرض بين الجبل والمصريين، وسميتها واسط، والمراد بواسط هنا واسط بدجيل على ثلاثة فراسخ من بغداد وبذلك فلقد تعددت"واسط"حسب ما أورده العلماء.-انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص ص248-352.

[4] البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص ص162، 163.

[5] العمري، المرجع السابق، ص469.

ومن أبـرز شيوخ الزَّهري أبـو الحصيـن حامـد بن بشـر القاضي[1]، أورد البغدادي عن شيخه مقتطفات تناولت الروايات في رجال الحديث، ووصف الأماكن بقوله، حدثني أبو طالب عمر بن إبراهيم بن سعيد الفقيه قال: <<...سمعت، يقول: بغداد ضيقة على المتقين ما ينبغي لمؤمـن أن يقيم بها>>.وقال أيضاً:<<أخبرنا...قال:...سمعت أبا الوليد يقول: قال لي شعبة: << أدخلت بغداد؟ قلت: لا، قال: فإنَّك لم تر الدنيا>>. إلى جانب الأحاديث النَّبوية، ففي رواية الـزَّهري قـال: سمعت رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم يقول: ((ينبغي للعاقـل أنْ لا يكون شاخصاً إلَّا في ثـلاث: طلب لمعـاش أو خطوة لمعادٍ، أو لَّذة في غير محرم))[2]، وفي الشعر قال البغدادي: أخبرنا الزَّهري، قال: حدثنا... قال أنْشِدني من بحر الخفيف فقال:

أيُّهـا المفتدي ليطلب عـلمـاً كل علمٍ عيدُ لعلــم الكـلامِ

تطلُب الفقهَ كَي تصحح حكماً ثُـمَّ أغْفلتَ مَنزِل الأَحكامِ[3].

18–أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري الصيرفي بن السّوادّي(ت355–435هـ):

هو عبد **الله** بن أحمد بن عثمان بن الفرج، أبــو القاسم بن أبي الفتح يعرف أيضا بابن السّوادي[4] من أهـمّ شيوخ البغدادي، فكان يُكثر الرواية عنه، ومما قال فيه: << كان أحد المفتين بالحديث والجامعين له مع صدقٍ واستقامة ودوام، درس القرآن، سمعنا منه المصنفات الكبار>>[5].

فلقد أولى الأزهري الحديث عناية وكتب الكثير، كما روى عن القطيعي، وطبقته[6]، وأوردَ عنها البغدادي مقتطفات من مصنفاته، تناولت رجال الحديث وفياتهم بذكره، وفاة محمد بن زيد الجعفري

---

[1] المتوفى سنة 368هـ، وهو أبو الحصين حامد بن بشر القاضي الرخجي المعروف بابن القنبيطي. –انظر: العمري، المرجع السابق، ص270.

[2] علي بن حسام الدين المتقي الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ج15، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1989م، ص1303.

[3] البغدادي، المصدر السابق، مج2، ص200.

[4] نـسبـة إلى ســواد الــعــراق. –انظــر: السَّبكي، المصدر السابــق، ج1، ص432.

[5] نـفســه، ص432.

[6] ابن عمــاد، المصدر السابــق، مج5، ص167.

سنة 344هـ بالرَّي، وكذا ألقابهم قال الأزهري: الحسان بن صّوار يكنى أبا العلاء المَرَورودي إلى جانب ذكر ثقافتهم، وأماكنهم بقوله: قدم بغداد.... رجع خرسان وغيرها[1].

19- أبو الحسن التوزي أحمد بن علي البغدادي المحتسب (ت442هـ) :

كان ثقة، صاحب حديث[2]، وقد روى عنه البغدادي مقتطفات في العديد من مصنفاته تناولت وصف الأماكن، ومثال ذلك: لم تزل بغداد مثل أرض السَّواد إلى سنة خمس وأربعين ومائة[3].

20-إبراهيم بن عمر أبو إسحاق البُرمكي الحنبلي(ت450هـ):

قال فيه البغدادي: كان صدوقاً، ديِّناً، فقيهاً على مذهب أحمد بن حنبل، أفتى بجامع المنصور[4] روى عن العديد من الشيوخ، في حين كان يروي القراءة سماعاً عن أبي بكر بن محمد بن عبد **الله** بن بخيث[5].

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، مج8، ص272 وما بعدها.

[2] ابن عماد، المصدر السابق، مج5، ص187.

[3] البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص296.

[4] ابن عماد، المصدر السابق، ص197.

[5] الدمشقي، المصدر السابق، ج1، ص26.

المبحث الثاني: دراسة كتاب بغداد.

أولا: محتوى كتاب تاريخ بغداد.

ثانيا: أهمية كتاب تاريخ بغداد.

ثالثا: منهج الخطيب البغدادي.

أولاً: محتوى كتاب "تاريخ بغداد".

احتوى تاريخ الخطيب على مئة وستة أجزاء حديثة، ووضع هذه النسخ في أربعة عشر مجلداً وفي بداية الكتاب مقدمة عن مدينة بغداد، تحتوي على ثلاثة محاور رئيسية، وقبل التطرق إلى محتوى الكتاب ارتأينا أنْ نُعرف مدينة السلام بغداد.

تعريف بغداد:

للتعريف ببغداد لابدَّ من معرفة معنى كلمة بغداد أولاً، حيث ورد أنَّ لفظة "بغداد" أعجمية إلاَّ أنَّ المؤرخين اختلفوا في ضبط حروفها، فقالوا: بَغْداذ، وبغداذ، بغذاذ، بغدان، بَغدِين، مَغدين، بغدام مغدام، بغذان، وبهداد[1].

وبعضهم يرى أنَّ لفظ بغداد مركب من كلمة <<بغ>>، وهو البستان، و<<داد>> وهو اسم صنم للعجم، وجملة المعنى<<بستان صنم>>، ومنهم من قال: إنَّ<<داد>> اسم رجل أيّ: <<بستان رجل>>، والبعض الآخر يقول: أنَّ <<بغ>> صنم، و<< داد >> عطية والمعنى: << عطية الصّنم >>، وأيضا أنَّ <<بغ>>، اسم صنم لبعض العجم كان يعبده، و<<داد >> رجل[2].

أمَّا المعنى الفارسي لكلمة "**بغداد**"، فتعني: <<بغ>>: أيْ <<**الله**>>، << داد >>؛ أيْ: "تأسست" أو <<تأسيس>>، بمعنى <<أسّسها **الله**>>، أو << مؤسسة **الله** >>، وقيل: إنَّ اسم "بغداد" أرمي مبنىً ومعنىً، وهو مؤلف من كلمتين: << ب >> المقتضبة من كلمة << بيت >> التي

[1] طه الراوي، **بغداد مدينة السلام**، د.ط، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، 2012م، ص9.

[2] نفسه، ص9.

يـرتبط عـادة بـأوائـل أسمـاء الـمدن مثل «بعقوبـة"[1]، والـلفظ الـثـانـي <<كداد>> بـمعنى غـنـم أو ضأّن...ليكتمل المعنى<<بكداد>>[2].

وتعرف بغداد بمدينة السلام، واسم الزوراء، عاصمة الدنيا، ومركز الخلافة الإسلامـية، بـنـاهـا الخليفة العباسي المنصور(136-158هـ/854-775م)، وأطلق عليها اسم مدينـة المنـصـور، فـهـي تـقـع على نـهـر دجلـة[3]، يـحـدهـا من الجزء الـغـربي الـكـرخ[4]، ومن الجـزء الشـرقي الرصافة[5] تـحـتـوي على أربـعـة أبواب: باب خرسان[6].

---

[1] هي مركز قضاء باسمها، وقاعدة محافظة ديالي العراقية، وهي مدينة قديمة أثنى أصحاب الأخبار على حسن أنهارها، وبساتينها ومختلف خيراتها، وهي واقعة على نهر ديالي، ويمرُّ بها نهر جلولاء، وإليها ينسب أبو الحسن محمد بن الحسين بن حمدون اليعقوبي القاضي، قتل بحلوان سنة430هـ.انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص353.

[2] طـه الـراوي، الـمصدر السابـق، ص9.

[3] يعد من أنهار العالم الكبرى، يقطع العراق من الشمال إلى الجنوب، ينبع من بحيرة "كوجلك" مدينة خربوط، حيث يتقوس نهر الفرات يتفجر من سلسلة الجبال المرتفعة بشرقي تركية. - انظر: عبد الرزاق الحسيني، **العراق قديما وحديثا**، ط3، مطبعة العرفان، صيدا، 1337هـ/1958م، ص70.

[4] هي بالفتح ثم السكون، وخاء معجمة، وترجَّح بأنَّها غير عربية، والمقصود بالكرخ هنا كرخ بغداد: يقع في وسط بغداد، والمحالّ حولها، أمَّا الآن فالكرخ محلة وحدها مفردة في وسـط الخراب، وحولها محال إلاَّ أنَّها غير مختلطة بها، يحدها من الشرق باب البصرة، وجنوبها يقع نهر القلاَّئين وعن يسار قبلتها يقع المحوّل، كما أنَّ في قبلتها نهر الصراة؛ فـأهل الـكرخ كلّهم شيعة إمامية لا يوجد فيهم سنيٌّ. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص447.

[5] هي بضم أوّله، مشهور إنْ لم يـكن اشتقاقه من الرَّصف، وهـو ضمُّ الشيء إلى الشيء، كـمـا يُرْصف البناء. -الرصافة بغداد: يـقع بالجانب الغـربي، أمـر الـمنـصـور ابـنـه المهدي ببنائها، فـفـرغ من عمارتها سنة 159هـ (السنة الثانية من خلافتة)، وعمرها من مساجد، محلّة، سـويـق، معسكـر فصارت مدينة المنصور. انظر: نـفسـه، مج3، ص46.

[6] هي بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق؛ أزَاذْوار وقصبة جويَن وبيهق، وآخر حدودها مما يلي الهند، طخارستان، وغزنة سجستان، وكرمان، تضُّم كل من بلاد نيسابور، وهراة، مَرْو، اختلف في تسميتها فقيل: خرسان للشمس بالفارسية الدَّريّة، وأسان كأنَّه أصل الشيء ومكانه، ومعناه: كلْ سهلاً؛ لأنَّ معنى خُر: كُلْ، وأسان: سهل، وأماَّ النسبة ففيها لغات، كـمـا أنَّ الخرسي منسوب إلى خرسان، ومثله الخُراسي والخراساني، ويجمع على الخراسين، بتخفيف ياء النّسبة، كقولك الأشعرين وفيها أنشد: لا تكرمَنْ من يعدها خُرسياًّ.-انظر: نـفسـه، ص350.

وباب الشام[1]، باب الكوفة[2]، وباب البصرة[3]، وأساسُ المدينة مدّور[4]، وبوسطها قصر عرف "بقصر الذهب" وغيره من القصور، كما احتوت على الكثير من المعالم التاريخية الحضارية، وأهمها المدرسة المستنصرية والمساجد الإسلامية القديمة، والمتحف الوطني الذي يحتوي على أهم الآثار، إلى جانب العديد من المقامات الدينية، ومن أشهر مساجدها: مسجد الشيخ معروف الكرخي، ومسجد الخلفاء العباسيين، المعروف بجامع القصر، أو جامع الخليفة، وجامع الحيدر خانة وهو من أتقن جوامع بغداد صنعة، وإحكاماً.

عموماً فإنَّ بغداد سميت "بمدينة السلام"[5]، وهي من أسمائها العربية، وقيل سميت بذلك لأنَّ دجلة يقال لها وادي السلام، وأيضا عرفت بمدينة السلام لأنَّ السلام هو **"الله"** والمعنى "مدينة **الله**"[6] بدليل الآية الكريمة:﴿ لَهُمْ دَارُ السَّلاَمِ عِنْدَ ربّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ﴾[7].

---

[1] هي أرض بفلسطين، وكان اسم الشام الأول سُورَى، فاختصرت العرب من شامين الشام فغلب على الصقع كله، حدودها من الفرات إلى الديار المصرية، وعرضها من جبل طيّء إلى بحر الروم وتحوي على عدة مدن منها: حلب، حماة، حمص، دمشق بيت المقدس، ومن الساحل: أنطاكية وطرابلس، وعكا، صور، وعسقلان؛ وهي خمسة أجناد: جند فلسطين وحمص، وجند دمشق، جند الأردن، وجند قنسرين.-انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص912.

[2] هي بالضم، المصر المشهور بأرض بابل من سواد العراق، وسميت الكوفة لاستدارتها أخذاً من قول العرب: رأيت كوفاناً وكؤفاناً، وقيل سميت بالكوفة: لاجتماع الناس بها من قولهم: قد تكوّف الرمل، وطول الكوفة، تسع وستون درجة ونصف وعرضها إحدى وثلاثون درجة وثلثان؛ ويقال أخذت من الكوفان، يقال: هم في الكوفان في بلاء وشرٍّ. ويقال: كَفْتُ أكِيفُ، كَيْفاً، إذّ قطعت ومن حفاظ الكوفة نذكر: محمد بن العلاء بن كركب الهمذاني الكوفي وغيرهم، أمَّا عن مركز قضاء الكوفة في محافظة النجف، وهي قريبة جدا منها، وهي على شاطئ نهر الفرات بأرض بابل، تشتهر ببساتين النخيل والزروع والكروم، وبها أقدم المساجد، وهو المسجد الجامع، يعرف بمسجد الكوفة. انظر: نفسه، مج4، ص ص490، 493. وأيضاً: يحي الشامي، المرجع السابق، ص80.

[3] وهما بصرتان العظمى بالعراق، وهي الأرض الغليظة التي فيها حجارة تقلعُ وتقطعُ حوافر الدواب، وسميت بالبصرة لغظها وشدَّتها وقيل هي الأرض الطيبة الحمراء، فهي تعريب. "بس راه"، ذات الطرق الكثيرة. -انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص130.

[4] انظر: م (01)، ص94.

[5] يحي الشامي، المرجع السابق، ص ص71-76.

[6] ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص ص456، 457.

[7] سورة الأنعام، الآية(127).

علاوةً على ذلك فإنَّ بغداد كانت صُّرة الدنيا، ومركز الخلافة، ولؤلؤة الشرق، جنَّة الأرض، قبَّة السلام ومجمع الرافدين، وغرّة البلاد، وعين العراق، ودار الخلافة، ومجمع المحاسن والطيبات ومعدن الظرائف واللطائف[1]، وبها تغنى الشعراء ومن أجمل ما قيل فيها:

وعانيت في طول من الأرض والعرض كبغداد داراً إنَّها جنّة الأرض

صفا لعيش في بغداد واخضّر عوده وعيش سواها غير صاف ولا غضّ

تطول بها الأعمار إن غذاءها مريء وبعض الأرض امرأ من بعض[2].

وقال ابن الوردي:

وفي بغداد أقوام كرام ولكن بالسلام بلا طعام

فما زادوا صديقا عن سلام هذا سُمِّيتْ دار السلامِ[3].

وأيضاً:

فِدى لكِ يا بغداد كل مدينة من الأرض حتى خطتي وديارِيا

فقد طفت في شرق البلاد وغربها وسبَّرت خيلي بينها وركابيا

فلم أر فيها مثل بغداد منزلًا ولم أر فيها مثل دجلة واديا

ولا مثل أهليها أرقَّ شمائلاً وأعذب ألفاظها وأحلى معانيا[4].

عموماً فلقد كانت بغداد حاضرة علمية، وهذا ما شهده لها القرن الرابع والخامس الهجريين، إذّ تألّق بها عدَّة من العلماء والأدباء، والمفكرين، وحظي إنتاجهم العلمي، إعجاب النّقاد والدارسين فكانت مقصدهم، ومحطة حلقات علمية، عقدها أكابر العلماء مثل الإمام الحنفي والشافعي والحنبلي، وانتشرت بها دور العلم، من مساجد، مدارس، مكتبات، أدَّت إلى ازدهار الحركة العلمية

---

[1] طه الراوي، المصدر السابق، ص8.

[2] يحي الشامي، المرجع السابق، ص77.

[3] طه الراوي، المصدر السابق، ص13.

[4] نفسه، ص18.

لتشهد شتى العلوم من حديث وفقه، وغير ذلك؛ ويعتبر الخطيب البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت من فلذة كبد "بغداد"، وشهد له عصره على ذلك، كما يعدُّ كتابه" **تاريخ بغداد**" أهم مصدر للاطلاع عن الحياة العلمية "ببغداد"[1].

-محاور كتاب تاريخ بغداد:

المحور الأول: تحدث فيه عن أقوال العلماء فيما يتعلق بالجواز والكراهية، لبيع بلاد بغداد، وتكلم عن قضية السواد، وما بدر من المسلمين في حال تلقي خبر اختيار موقع إقامة مدينة السلام، وبيَّن مناقب مدينة السلام وفضلها ومحاسن وأخلاق أهلها، كما ذكر منافع نهري دجلة والفرات، وأورد معنى "بغداد"، وتحدث عن مؤسسها أبو جعفر المنصور.

المحور الثاني: وفي هذا المحور تحدث عن خطط بغداد، وكل ما يتعلق ببنائها، وما تحويه من دروب وربط، ومساجد، وحمامات، ومقابرها المشهورة، وأوضاع دار الخلافة، وحدودها الغربية والشرقية.

المحور الثالث: تناول فيه خبر المدائن، وتسمية من وردها من الصحابة[2].

وبعد المقدمة التي بلغت خمسة أجزاء من بين المائة والستة أجزاء، باقي الكتاب و هو عبارة عن تراجم لأهل بغداد ووارديها، فشملت ترجمة للخلفاء، والأشراف، وأكابر الفقهاء، والمحدِّثين والقراء والزهاد والصالحين والمتأدبين ،والشعراء ،وهؤلاء سواءً كانوا من مدينة بغداد، أمْ ولدوا بها أو بسواها من البلدان ونزلوها ،وذكر من غادرها ومات ببلدة غيرها، ومن كان بالنواحي القريبة منها ومن غير أهلها، وبذلك نفهم أنَّ البغدادي ترجم لعلماء بغداد الذين ولدوا به وتوفوا بها، وأيضا العلماء الذين توافدوا عليها من مختلف الأمصار وقطنوا بها أو توفوا بها، وكذلك ترجم لأهل المناطق القريبة منها مثل سامراء[3] وغيرها.

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص18.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج1، ص76.

[3] لغة في سُرّ مَنْ رأى: مدينة كانت ببغداد وتكريت على شرقي دجلة، وتعددت لغاتها منها سَامرّاء، وسامرّا، وسرّ مَنْ رَأَى فسامّراء هي بلد على دجلة فوق بغداد، بثلاثين درجة وسدس عرفت بالسرداب، الذي احتواه جامعها، وقيل أنَّها مدينة بُنيت لسام فنسبت إليه، بالفارسية سام راه، أماً بالفارسية تعني: ساء مُرّه، أي موضع الحساب؛ فهي مدينة عتيقة من مدن الفرس، تحمل إليها الإتاوة لملك الفرس لأنَّ؛ سا: اسم الإتاوة، ومرّة: اسم العدد، والمعنى أنَّه مكان قبض عدد جزية الروم. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج3، ص ص173، 174.

لكنه لم يذكر في تاريخه من محدثّي الغرباء، الذين قدموا إلى بغداد ولم يحدثوا بها، أيّْ لم يُسْمع منه العلم، فإنَّه أهملهم، وأيضاً لكثرة أسمائهم، وتعذر إحصاء عددهم[1].

والخطيب من خلال ما أشارت إليه المصادر، لم يتناول في ترجمته أعلام بغداد، من الأطباء والصيادلة المهندسين، والفلكين، وغيرهم من كبار التجار والمموّلين، مما يوضح عدم اهتمامه بالجانب السياسي فركز على طبقة النخبة، وباجتهاده تمكن من ذكر كل محدِّث، حدَّث ببغداد مهما قلَّ شأنه أو ضعف، إذّ ترجم لأشخاص ذكروا في إسناد الروايات، أو في معجم شيوخه، في حين قصر في حق تراجم بعض الأكابر[2].

عموماً فالكتاب يحتوي على أربعة فصول، حسب ما أقر به محقق طبعته، فخصص **الفصل الأول**: لسيرة الخطيب ومنزلته العلمية، حيث جعله في مبحثين.

المبحث الأول: تناول فيه بإيجاز اسمه، ونسبه، ومولدهُ، ودراساته الأولى من عنايته بالفقه، وتوجه نحو الحديث رحلاته داخل العراق، ورحلته الأولى إلى نيسابور، والثانية إلى أصبهان، فاستقراره ببغداد وانصرافه إلى التأليف ورحلته إلى الحج، ومروره بالبلاد الشامية، ومحنته ببغداد سنة 450هـ، وتحوله إلى الشام في مطلع سنة 451هـ، حتى صار من قاطنيها أكثر من عشر سنوات، ثم عودته إلى بغداد في أواخر عُمْره ومرضه ووفاته.

أمَّا **المبحث الثاني**: تحدث فيه على المنزلة العلمية للبغدادي، كما تطرق فيه إلى طبيعة مؤلفاته وعقيدته، مذهبه، حفظه، خطِّه، ضبطه، سرعة قراءته، وجودتها، وعلاقته باللّغة والأدب، وتواضعه وكرمه، وديانته وزهده، كما ذكر ما أمكن من تلامذته، وختمه بمقتبسات عن آراء العلماء فيه.

ليتضمن **الفصل الثاني**: دراسة لهذا التاريخ منهجاً وأهمية، ويجعله في مبحثين أيضا:

المبحث الأول: تناول فيه منهج البغدادي في تاريخه، وبحث في عنوان الكتاب عن تاريخ تأليفه ومحتوياته، ثم تنظيم الكتاب، وما تضمنته كل ترجمة من عناصر رئيسية، وتطرق إلى دقة المؤلّف

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، ص ص76، 77.

[2] نفسه، ص ص77-79.

في النقل، والعوامل المؤدية إلى طول التراجم وقصرها، وتكرارها في بعض الأحيان، والسَّبب في اختلاف اسم المترجم من مكان على آخر، ثم ناقش التَّدليسْ عند الخطيب[1].

المبحث الثاني: فخصصه لدراسة أهمية تاريخ الخطيب، ملّماً بكل ما يخصّه، ثُّم تطرق إلى أسلوب النّقد (التعصب والإنصاف) عند الخطيب، كما تناول أثر هذا التاريخ (كتاب بغداد)، في المؤلفات الحديثة، ومختلف ذيول الكتاب[2].

أمَّا بخصوص **الفصل الثالث**: حظي بأهمية تكمن في ذكر جملة من الأحاديث، التي ذكرها البغدادي في تاريخه، فقام المصنف بحوصلة المقصد من هذه الأحاديث المشهورة منها، سواء السقيمة أم الصحيحة، ومعرفة مختلف أحاديث كتب الرجال، والتراجم عند المتقدمين والمتأخرين، وقام بإجراء مقارنة بين طريقة الإمام البخاري في إيراده الحديث، وبين الخطيب في تاريخه، كما تطرق إلى تكوين بعض التراجم بإسناد الحديث، وكيف يدل الحديث على تعديل المترجَم، وما إلى ذلك فالمصنف قد شفى وكفى في كل ما أورده، في حين ذكر سراق الحديث وحالهم، والقيمة الحقيقية للأحاديث والأسانيد خاصة التي ذكرها المتأخرين في كتبهم، وما أُشيع من اصطلاحات تحتاج إلى إعادة نظر مثل: "شرط البخاري ومسلم"، وما نجم عنها من أخطاء.

ليقدم المصنف في هذا الفصل بعض الأفكار الجديدة، التي طرحها على زملائه من أهل العلم، وكان هدفه: تطوير الدراسات الحديثة، وترك التقليد والتتبُع، والقضاء على الجمود الذي طغى على هذا الميدان، خاصة منذ توالي عصر الجهابذة المتقدمين، من أهل القرنين الثاني والثالث الهجريين[3].

أمَّا **الفصل الرابع**: فلقد تناول فيه النهج الذي انتهجه في تحقيق هذا الكتاب، ليذكر الطبعة الوحيدة لهذا التاريخ سنة1931م، وما احتواه من تصحيفٍ وتحريف وسقط، ونظراً لذلك فإنَّ من أبرز نسخ تاريخ الخطيب مايلي:

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، ص14.

[2] نفسه، ص14.

[3] نفسه، ص15.

1– النسخة التي كتبها الخطيب بخطه من كتابه "تاريخ مدينة السلام"، كان يحملها معه أيْنما رحل وحدث بها في جامع دمشق مرتين، وصور، وتمَّ نسخ عدد منها، لتصبح هذه النسخة بيد، عبد المحسن بن محمد الشِّيحي الفقيه المالكي، تلميذ ورفيق الخطيب، علماً أنَّ هذه النسخة تمَّ وقفها في خزانة كتب المدرسة المستنصرية، وأيضاً نسخة شجاع بن فارس الذّهلي(ق430–507هـ) التي تعدُّ من الأصول المعتمدة لتاريخ الخطيب، اعتمدها العلماء ونسخوا عليها، أمَّا النسخ المتقنة التي نسخت عن نسخة المصنف هي نسخة أبو الحسن محمد بن مرزوق البغدادي[1] قال ابن الجوزي: <<وكَتَبَ تصانيف الخطيب وسمعها منه>>، كما عرفت نسخة للزعفراني في عشر مجلدات[2].

أمَّا من النسخ المشهورة المنقولة عن نسخة المصنف، هي النسخة التي كتبها الحافظ الأنماطي[3] قال السمعاني: << ونسخ الكتب الكبار مثل الطبقات لابن سعد، وتاريخ الخطيب>>.كما قيل أنَّ هذه النسخة وجدت في وقف الزّيدي[4]، وممن كتب نسخ من تاريخ الخطيب كريمة بنت الحافظ أبي بكر محمد بن أحمد بن الخاضبة(ت527هـ)، إذّ يعتبر الحسن بن خيرون هو من اهتم بتاريخ الخطيب وسمعه، ونسخه قال الذهبي:<< وسمع من أبي بكر الخطيب أكثر تاريخه...وكان ينسخ تاريخ الخطيب ويبيعه>>، غير أنَّ كثرة هذه النسخ، لم يتبق منها إلا الشيء القليل اليسير، كما أنَّ خزائن كتب العراق تحتوي على مجلد واحد من تاريخ "مدينة السلام"، إضافة إلى أنَّ هذه النسخ كانت مصدر عدَّة علماء، قد أكثروا النقل من هذا الكتاب من أمثال: ابن ماكولا، ابن أبي يعْلي والسمعاني، ابن الجوزي، ياقوت الحموي، المزّي، الذهبي، ابن كثير، السَّبكي وغيرهم[5].

---

[1](ت442-517هـ) هو الإمام الفقيه العلامة المحدث الثبت، أبو الحسن محمد بن مرزوق بن عبد الرزاق البغدادي الزَّعفراني الجلاب الشافعي. –انظر: البغدادي، المصدر السابق، ص183.

[2] نفسه، ص ص183، 184.

[3] (ت462-538هـ) هو الإمام الحافظ المفيد الثقة المسند، أبو البركات عبد الوهاب بن بُندار البغدادي الأنماطي. –انظر: الذّهبي المصدر السابق، ج20، ص134.

[4] (529-575هـ) هو أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الهاشمي العلوي الحسيني الزيدي البغدادي الشافعي، الزاهد الحافظ. انظر: نفسه، ج21، ص104.

[5] البغدادي، المصدر السابق، ص ص185، 186.

حيث تناول المحقق في هذا المبحث: معلومات في غاية الأهمية، كما ذكر في ختام فصله مختلف المجلدات، التي تمَّ وَقْف هذا التاريخ عليها في عدة بلدان، وأشرفت على تحقيقه منها: المدينة المنورة[1] تونس[2]، وغيرها[3].

ثانيا: أهمية كتاب "تاريخ بغداد".

يعتبر "كتاب بغداد" أضخم مؤلفات الخطيب البغدادي، يضم 7831 ترجمة–عدا ما سقط من التراجم في النسخة المطبوعة، منها ترجمة 32 للإناث–وهذه التراجم تخصُّ المحدِّثين، وأرباب العلوم الأخرى، ورجال المجتمع والدولة، ويعدُّ تاريخ النخبة، التي تُعرَّف بأنَّها الفئة التي تضم أصحاب الكفاءات والبارزون في المجتمع، ولقد استند الخطيب في كتابه على بعض الكتب التي ألفت في "تاريخ بغداد" وفقدت، فحفظها بدوره في كتابه، حيث تطرق إلى تعديد فضائلهم مثل، يزدجرد بن مهمندار، وأحمد بن الطيب السرخسي[4] وغيرهم[5].

---

[1] تقع في منطقة الحجاز إلى الغرب من المملكة والشمال من مكة المكرمة، يفصلها عنها حوالي 350كلم، وتعدُّ مدينة دينية مقدسة، يتواجد بها قبر رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم، ومسجده، قديمة العهد سميت "يثرب"، قبل الإسلام، كما يبلغ عددها أسمائها29 اسماً منها: المدينة، وطيبة، وطابة المسكينة، العذراء، الجابَّرة، المحبّة، والمحبّبة، والمسلمة، وغيرها، أمَّا من أهم مساجدها أيضاً: مسجد ضرار، ومسجد علي بن أبي طالب، ومسجد عمر بن الخطاب، مسجد فاطمة الزهراء، ومسجد قباء[1] مما رواه الطبراني بقوله:<< المدينة قبة الإسلام، ودار الإيمان، وأرض الهجرة، ومتبوأ الحلال والحرام >>.انظر: يحي الشامي، المرجع السابق، ص43.–وأيضاً: جلال الدين السيوطي، **الحُججُ المبينة في التفضيل بين مكة والمدينة**، تح: محمد زينّهم محمد عزب، ط1، 1414هـ–1993م، القاهرة، مصر، ص39.

[2] بالضم ثم السكون، والنون تضم، وتفتح وتكسر؛ فهي مدينة كبيرة محدثة بإفريقية على ساحل بحر الروم بالقرب منها أقيمت مدينة قرطاجنة، وسميت تونس في القديم "ترسْيشْ"، وتقع على مليين من قرطاجنَّة، ويحيط بها سور، يبلغ أحد وعشرون ألف ذراع وهي الآن قصبة بلاد إفريقية، ولقد ذكر البكري أنَّ بها خمسة أبواب منها: باب الجزيرة قبلي ينسب إلى بحر شريك، ويخرج منه إلى القيروان...عموماً فمدينة تونس عظيمة وتاريخها شاهد على ذلك. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص60.

[3] البغدادي، المصدر السابق، ص16.

[4] المتوفى سنة 286هـ/899م وهو أحمد بن محمد بن مروان بن الطيب أبو العباس ولد في سرخس من نواحي خراسان، تولى الحسبة في خلافة المعتضد **بالله**، كان فيلسوف غزير العلم بالتاريخ له تصانيف عديدة منها: كتاب السياسة والمدخل إلى النجوم، فضائل بغداد وأخبارها. انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج1، ص206.

[5] العمري، المرجع السابق، ص ص87، 88.

فتظهر أهمية **"كتاب بغداد"** من ناحية الحياة الثقافية، في أنَّه يكشف عن طرق التدريس ومناهج العلماء ومقاييسهم، وعلاقتهم مع تلاميذهم، والتعريف بالمدارس التي انتشرت في القرنين الرابع والخامس الهجريين، وكذلك الحلقات العلمية، ومجالس العلماء في المساجد للتحديث والتدريس كما أنَّ تاريخ بغداد يعكس نشاط العلماء، ومدى اتصال الحركة الفكرية في المدن الإسلامية بعضها البعض، وذلك من خلال ذِكْرِه رحلة العلماء في طلب العلم، إمَّا تصريحاً أو بواسطة ذكر نِسْبتهم إلى أكثر من مدينة، ممَّا يدل على دخولهم إلى عدة مدن[1].

أمَّا الأهمية العظمى **"لكتاب بغداد"** تتجلى في علم الحديث، حيث تناول رجال الحديث في حوالي خمسة آلاف ترجمة من إجمالي7831 ترجمة، هم عدد تراجم الكتاب، علمًا أنَّ الخطيب في تأليفه لهذا الباب، لم يكن سوى متَّبِع بل محصَّ، وانتقى الصواب والمهم، كما أبدى رأيه في بعض العلماء خاصة من طبقة شيوخه وأقرانه. فالخطيب استخدم الإسناد بدقة عند سرد الروايات سواء كانت تتصل بالحديث ورجاله، أم التاريخ، أم الأدب، وبذلك ساعد على الكشف عن موارده بالإضافة إلى أنَّ اِقتباسه عدّة أسانيد من مصنفات مفقودة، بل لم تشر إليها الكتب المتخصصة، قد أضفى على كتابه أهمية كبيرة في دراسة تأريخ الحديث، كما أنَّ "كتاب بغداد"، ذكر أسماء العديد من المصنفات التي بلغت 446كتاباً تناولت موضوعات شتى منها: علوم القرآن والقراءات (57كتاباً)، والتفسير(24 كتاباً)، والحديث (73كتاباً)، وعلوم الحديث وشروحه(21كتاب)، وأصول الفقه(3كتب)، والعقائد والفرق(12كتاب)، والسيرة النّبوية(9كتب)، والفضائل والمناقب(4كتب) والتراجم(8كتب)، وعلم الرجال(56كتاباً)، والتاريخ(10كتب)، الأخبار(12كتاب)، والنسب (11كتاب)، والمبتدأ(3كتب)، والأدب ودواوين الشعر(37كتاباً) واللغة(30كتاب)، والنحو والصرف(31كتاب)، والجغرافية(كتابان)، وكتب أخرى متفرقات (13كتاباً)[2].

---

[1] البغدادي، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، مجلد21، دار الكتب العلمية، د.م.ط، 1997م، ص48.

[2] العمري، المرجع السابق، ص88، 90.

وعند مقارنة هذه القائمة بكتاب الفهرست لابن النديم، تبيَّن أن البغدادي ذكر298 كتاباً لم يذكرها ابن النديم، مما يدل على أهمية الإضافة التي قدمها البغدادي، بسبب ذكره مصنفات أصحاب التراجم أحيانا، رغم أنَّه أهمل الإشارة إلى كثير من المصنفات الأخرى التي صنفها أصحاب التراجم الذين تناولهم كتابه، ويلاحظ أنَّ البغدادي أهمل تراجم الرياضيين، الفلكيين، والفلاسفة.

فالبغدادي لم يقدم معلومات مفصلة عن التاريخ السياسي، العسكري، والاقتصادي، وعليه فإنَّ ما غاب عن الخطيب في تراجم غير المحدثين استدركه عليه، ابن النجار، وغيره من أصحاب الذيول على "**كتاب بغداد**"[1].

وأهم ما يُبرزُ أهميته:

1– اقتباس المؤلفات التي أرَّخت للفترة التي تناولها، ونَقْل مؤلفيها عن "تاريخ بغداد"، ومن أبرز المؤلفين الذين أكثروا النقل عنه: علي بن هبة **الله** بن ماكولا، في كتابه "الإكمال"، وأبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني في كتابه "الأنساب"، وهذا وقد رتّب البغدادي كتابه على أساس الحروف بصفة عامة ولكنه لم يلتزم الترتيب المعجمي داخل الحرف الواحد، لكنه يبدو أنَّه قد راعى نظام الطبقات أحيانا داخل الحرف الواحد، والاسم الواحد، ولم يلتزم به، علماً أنَّه كان يقدم تراجم المتقدمين على المتأخرين دائما، ومن المؤلفين الذين نقلوا عنه أيضاً، ابن أبي يعلي الحنبلي(ت526هـ) في طبقات الحنابلة وأبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي (ت597هـ) في كتابيه "المنتظم في تاريخ الملوك والأمم" و"المصباح المضيء في أخبار المستضيء"، وياقوت الحموي(ت626هـ) في كتابيه "معجم البلدان" و"إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب"، وأبو العباس شمس الدين أحمد ابن خِلّكان(ت281هـ) في كتابه "وفيات الأعيان"، وابن الفوطي(ت723هـ) في تلخيص" مجمع الآداب في معجم الألقاب"، الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت748هـ) في كتابه "تذكرة الحفاظ"، و "ميزان الاعتدال" و"سير أعلام النبلاء"، وغيرها من مؤلفاته، وابن نقطة في كتابه "التقييد في رواة السنن و المسانيد" وابن فرحون في كتابه "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، وتاج الدين عبد الوهاب بن علي السّبكي(ت771هـ) في كتابه "طبقات الشافعية الكبرى"، والحافظ ابن حجر العسقلاني في "تهذيب التهذيب"

[1] العمري، المرجع السابق، ص90.

والسيوطي في "بغية الرعاة في طبقات اللغويين والنحاة"، والداودي في "طبقات المفسرين"، وغير هؤلاء؛ ليتضح أكثر أنَّ هؤلاء الأعلام كانت لهم صلة بالخطيب البغدادي ويُكنُونَ له ثقة كبيرة من خلال اعتمادهم على مادته[1].

2–ذيوله ومختصراته: اختصر تاريخه العديد من المؤرخين، وذيلوا عليه، ومن أبرزهم السمعاني (ت562هـ) بعنوان "الذيل على تاريخ بغداد"، وعبد **الله** بن سعيد المعروف بابن الدبيثي (ت637هـ) بعنوان"ذيل بغداد"، ولخصه الإمام الذهبي (ت748هـ) بعنوان" المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي" كما أنَّ محي الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار ذيل على تاريخ البغدادي، وسماه الذيل على ذيل ابن النجار"، وذيل عليه أيضاً أبو الحسن محمد بن أحمد القطيفي (ت565هـ) وذيل هبة **الله** بن المبارك السقطي، وذيل شجاع بن أبي شجاع الذهلي(507هـ)، ولكن مؤلفه غسله قبل موته أمَّا من اختصره، فهما كل من ابن منظور(ت711هـ)، والإمام الذهبي[2].

وقد تبيَّن أنَّ خيِّرة هؤلاء الأعلام، قد أضافوا عدة تراجم، وبيان حالهم (الجرح والتعديل وفاتهم...)، وتصحيح ما وقع فيه بعض العلماء من الوَهمْ في ذكر التراجم، وأحوالهم بوجه مخالف لهم، وأيضا أبو بكر عبيد **الله** بن علي المعروف بابن المارستانية (ت599هـ) ذيل على" تاريخ بغداد" إلاَّ أنَّه لم يُتِّم كتابه إلاَّ جزء منه، وتعرض للنقد فيه، ومن مختصراته أيضا، أبو علي يحي بن عبيد **الله** الحكيم البغدادي، له مصنف عرف" بالمختار من مختصر تاريخ بغداد"، ومختصر مسعود بن محمد بن أحمد بن حامد البخاري، كما ألّف في تاريخ بغداد، الفتح بن علي بن محمد بن الفتح البنّداري الأصفهاني (ت639هـ) في كتابه "تاريخ بغداد"، وهذا الأخير لم يعتبر من ذيول تاريخ بغداد، رغم أنَّه نقل عن الخطيب البغدادي، السمعاني، وابن الدبيثي، ولم يذيِّل على أحد مما سبقه[3].

ويُلاحظ أنَّ الكتاب تمَّ تحقيقه بالاعتماد على مخطوطة دار الكتب المصرية، بالإضافة إلى المطبوعات الوحيدة للكتاب في 14 مجلداً، اعتمد في طبعها على أجزاء متفرقة من مكتبات عديدةُ ذُكرت في حواشيها، حيث تمَّ إعداده كما يلي:

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص ص91–93.

[2] نفسه، ص95.

[3] نفسه، ص96.

1–مقارنة المطبوعة بمخطوطة دار الكتب المصرية، والكشف عن الاختلافات القائمة بين النسخ الأخرى لاستقاء نسخة صحيحة، ثم مقارنة النصوص الواردة بالكتاب بمصادرها التي نقلت منها.

2–مراعاة القواعد الإملائية الحديثة في تدوين النَّص، وعلامات الترقيم، وبدايات السطور.

3–توضيح النَّص، وما يتضمنه من الأعلام والأنساب وغير ذلك بالشكل، لإزالة اللُّبس على الباحث.

4–تخريج المصحف الشريف.

5–تخريج التراجم الواردة بالكتاب على كتب التاريخ، والروايات خاصة الترجمة التي وردت فيها ترجمة أبي حنيفة.

6-إعداد مقدمة للكتاب تحتوي على التعريف بالمؤلف، والترجمة له، بترجمة تغنيه، ثم التعريف بالكتاب من حيث أهميته، منهجه، وترتيبه، ومختصراته، وذيوله[1].

ونظراً لأهميته فلقد كشف عن المكانة التي تمتعت بها بغداد في القرون الأخيرة، بوصفها حاضرة العلم والثقافة، أيّ أشهرها عموماً، وما اشتهر بها من علماء ذو دقّة ووثاقة، وهذا ما أورده البغدادي بقوله: <<من لم يؤثّقه أهل بغداد فقد سقط، هم جهابذة العلم>>[2]. فتاريخ بغداد أشتهر باسم تاريخ "مدينة السلام"، ويشترك في السمات العامة التي تحمل أسماء مدن بعينها مثل: تاريخ دمشق لابن عساكر، والتدوين في ذكر أهل العلم بقزوين[3] للرافعي القزويني، وتاريخ جرجان للسهمي، وتاريخ

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، مج21، ص ص97، 98.

[2] يوسف الهادي، **تاريخ مدينة السلام...طبعة جديدة**، مجلة الوسيط، دار الوسيط للنشر والتوزيع، البحرين: يومية الوسيط سياسية مستقلة، 1423هـ/2002م، العدد29، ص345.

[3] بالفتح ثُّم السكون وكسر الواو وياء مُثْنَاةْ وياء من تحت الساكنة ونون؛ فهي قرية من قرى الدِّينور بينها وبين الرَّي سبعة وعشرون فرسخاً، طولها خمس وسبعين درجة، وعرضها سبع وثلاثون درجة، ومن أعيانها: الإمام محمد بن يزيد بن ماجة أبو عبد **الله** القزويني الحافظ، صاحب كتاب السُّنن. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص ص342-344.

طبرستان[1]، لمحمد بن الحسن بن إسفنديار (ألّفـه سنة 613هـ/1216م) وتاريخ بيهق لعلي بن زيد البيهقي (كتب آخر نسخة منه 556هـ/1167م)، وَيُلاحظ أنَّها تستهل بذكر مناقب المدينة وكيفية بنائها، مع ذكر خططها والقرى التابعة لها، بتفاصيل أدق تفتقدها الموسوعات الخاصة بالمدن[2].

وهكذا فإنّهَ يمكن القول بأنَّ "تاريخ بغداد" هو أكثر بكثير مما يظنه الناس عنه، ولكنه بالدرجة الأولى كتاب حديث، ومعجم تراجم، وينبغي علينا هنا أنْ نتذكر بأن مصنفه كان حجة في علوم الحديث وله عدة تصانيف فيها، ولكن ليس بين كتبه ما يضارع "تاريخ بغداد" أو يعلو عليه[3].

ثالثا: منهج الخطيب البغدادي.

إنَّ الاطلاع على كتاب البغدادي "تاريخ بغداد"، الذي حظي بأهمية عظمية من طرف النقاد المتخصصين والدارسين، مما يحيل بالضرورة إلى معرفة المنهج الذي سلكه في إعداد كتابه، فقد اشتهر بتاريخ "مدينة السلام"، حيث اعتمد في منهجه لكتابه الطويل-أول الأمر-على المصنفات المتقدمة:

فالبغدادي ضمَّن كتابه بعدّة كتب لتراجم المحدَّثين، وتراجم الخلفاء، الأدباء، أو الشعراء بالإضافة إلى كتب الحوليات، وذلك ليسهُل عليه ترجمة العلماء الذين نشأوا فيها، أو من زارها منذ بنائها حتى عصره، حيث بلغ عدد ما اقتبسه حوالي أرباع مادة كتابه، واستعمل في رواياته ألفاظ تـدل على السماع، حدثني، حدثنا، أخبرني؛ أمَّا الروايات التي لم يتسن له سماعها، اقتبس منها دون ذكـر

---

[1] بفتح أوله وثانيهن وكسر الراء، ومنه الطبر: وهو الذي يشَّقق به الأخطاء وما شاكله بلغة الفرس، وأمَّا ستان: الموضع أو الناحية فطبرستان هي البلاد المعروفة بمازَنْدان، تجاور كل من بلاد لجيلان وديلمان، فتقع بين الرّي وقومس والبحر، والديلم، والجبل، فهي بلاد كثيرة المياه والخيرات. -انـظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص13.

[2] يوسف الهادي، المرجع السابق، ص346.

[3] منير الدين أحمد، **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس الهجري مستقاة من "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي**، تر: سامي الصقار، د.ط، الرياض، السعودية، 1401هـ/1998م، ص19.

سند[1] مؤلفها منها، كتاب دعبل بن علي الخزاعي[2]، ومعجم شيوخ عبد **الله** بن عدي الجرجاني[3] وكتاب أبي القاسم عبد **الله** بن محمد الشاهد (ابن الثلاج)[4]، ومعجم شيوخ عبد الصمد بن علي الطستي[5]، وكتاب محمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن مندة[6]، وكتاب أبي الفتح عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن ميسور البلخي، وكتاب محمد بن علي بن عمر بن الفياض[7]، وكتاب موسى بن محمد ابن عتاب[8].

---

[1] **السَّنَدُ**: ما يكون المنع مبنًّيا عليه، أي: ما يكون مصحّحًا لورود المنع، أما في نفس الأمر أو في زعم السائل، وللسند صيغ ثلاث: إحداهما: أنّ يقال: لا نسلم هذا لما يجوز أن يكون كذا، والثانية: لا نسلم لزوم ذلك، وإنما يلزم أن لو كان كذا، والثالثة: لا نسلم هذا كيف يكون هذا والحال أنه كذا؟ -انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص ص124، 125.

[2] المتوفى سنة148-246هـ/765-860م، فهو دعبل بن علي بن زيد الخزاعي أبو علي، أصله من الكوفة، شاعر هجاءٍ وبذلك هجا العديد من الخلفاء العباسيين أمثال: الرشيد والمأمون، المعتصم والواثق **بالله**، صنَّف كتاباً في "طبقات الشعراء". انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج2، ص340.

[3] المتوفى سنة365هـ قال عنه الذهبي<< الإمام الحافظ الكبير...كان أحد الأعلام... وهو مصنف في الكلام على علم الرجال عارف بالعلل>>، من مؤلفاته "الكامل في ضعفاء الرّجال"، و "الانتصار على أبواب مختصر المزني "،"معجم الشيوخ"، "أسماء الصحابة ". -انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج3، ص940.

[4] هو محدِّث ضعفه النقاد ورموه بوضع الحديث، وكثرة التخليط، اقتبس منه الخطيب البغدادي 326 موضعاً، منها 302نصاً بلفظ ذكر وقرأت في كتاب انظر: العمري، المرجع السابق، ص420.

[5] المتوفى سنة346هـ قال عنه البغدادي: <<كان ثقة، سَمعَ البُرقاني ذكرهُ، أثنى عليه، وحثنا عن كتب حديثه>>، وقال عنه الذهبي: <<مسّند بغداد>>. -انظر: نفسه، ص417. -وأيضاً: الذهبي، المصدر السابق، ص863.

[6] المتوفى سنة 396هـ، فهو<<الإمام الحافظ الجوال محدث العصر الصدوق>>، بلغ عدد مؤلفاته ثمانية كتب منها، كتاب معرفة الصحابة، وكتاب الأسماء والكنى، وكتاب التوحيد، وتاريخ اصبهان. - انظر: نفسه، ج1، ص1096. -وأيضاً: العمري، المرجع السابق، ص400.

[7] نقل عنه الخطيب في 20موضعاً، "بلفظ قرأت في كتاب"، "وذَكَر"؛ وهي تتعلق بتواريخ وفيات ومواليد المحدثين. -انظر: نفسه، ص411.

[8] نقل عنه الخطيب البغدادي في 6 مواضع، بلفظ قرأت في كتاب تتعلق بتواريخ وفيات المحدثين. انظر: نفسه، ص411.

أمَّا في مرحلة جمع مادته استعمل الجزازات، وهذا ما أدى إلى فقدان بعض الأجزاء، دون تذكُر محتواها وقد ذكر في ترجمة قبيصة بن عقبة ما يلي: << وقد كتبت عن بعض شيوخنا خبراً لقبيصة يتضمن ذكر قدومه بغداد وتحديثه بها، وذهب عنّي فلم أقدر عليه حتى الساعة >>[1].

أمَّا ثاني الأمر–قام فيه بانتقاء الروايات–حيث ركز البغدادي على انتقاء الروايات ليدرجها في كتابه، واعتبرها عنصر أساسي في تصنيف كتابه لعدة أسباب: الحذر من تضخم كتابه، تكرر المعلومات بسبب تماثل الروايات عن صاحب الترجمة في الكتب المختلفة.

فالبغدادي حاول أنْ يقدم ترجمة شاملة، لكل ما يتعلق بصاحب الترجمة من التعريف باسمه نسبه، كنيته، نسبته، شيوخه، وتلاميذه، وبعض الأخبار الدالة على أخلاقه، ومكانته، وعرض أقوال النّقاد في بيان حاله من الجرح والتعديل، وذكر وفاتهم، ومواضع قبورهم، مع تحليه بالأمانة العلمية والدّقة، وعدم تصرفه في أسلوب المصنفين الذين نقل عنهم، فكان محض إعجاب الكثيرين[2].

أمَّا ثالث الأمر–نقده للروايات والترجيح[3] بينها–فالبغدادي كوّنهُ عالم ناقد، كشف على أغلاطٍ وقع فيها كل من سبقه في التأليف، وكشف بدوره عن الروايات التي تعارض فيها العلماء، واعتمد فيها على الترجيح، وكشف بدوره عن الروايات، وصححَّ مختلف الأخطاء التي تتعلق بتواريخ الوفيات أو المواليد، أو التعريف بمدن ومواطن الرواة، أو في عدم تمييز المتشابه من الأسماء، ومن أبرز الأعلام الذين استدرك الخطيب عليهم هذه الأخطاء نذكر شعبة بن الحجاج[4].

---

[1] العمري، المرجع السابق، ص98.

[2] نفسه، ص99.

[3] هو إثبات مرتبة في أحد الدليلين على الآخر. –انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص60.

[4] المتوفى سنة 82،160هـ/701،776م، فهو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي ولدَّ بواسط، العالم المحدِّث، الأديب الشاعر كان أول من بحث بالعراق عن أمرِ المحدثين، قال فيه الإمام الشافعي:" لولا شعبة ما عُرِف الحديث بالعراق"، وقال عنه الأصمعي: "لم نر أحداً قط أعلم بالشعر من شعبة "، ومن مؤلفاته كتاب الغرائب في الحديث. –انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج3، ص164.

ويحي بن معين، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلّام[1]، ويعقوب بن سفيان الفسوي[2]، ومحمد بن يعقوب الأصَّم[3] وذكريا بن يحي السّاجي[4]، وأبو زكريا الأزدي[5]، ويوسف القواس[6]، أمَّا من طبقة شيوخه نذكر: أبي نعيم الأصبهاني، وأبي العلاء محمد بن عليّ الواسطي، ومحمد بن أحمد بن رزق، محمد بن أحمد العتيقي وأبي بكر البرقاني، وأبي القاسم الأزهري. وهذا ما يدّل على مدى فطنته، وهذه الزّلات التي وقع فيها كبار العلماء، فإنَّ البغدادي لم يغفل على تصحيحها، علماً أنَّ هؤلاء كان لهم الفضل والأسبقية[7].

---

[1] المتوفى سنة154هـ/223هـ، فهو أبو عبيد القاسم بن سّلام بتشديد اللام، المحدث، الأديب، الفقيه، قال عنه إبراهيم الحربي: "كان أبو عبيد كأنَّه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء"، وروى عن الأصمعي والكسائي، والفراء وغيرهم، كان أول من صنَّف في غريب الحديث، ومن تصانيفه أيضاً: المقصود والممدود، القراءات، المذكر والمؤنث، النَّسب والأحداث، وغيرها من التصانيف، كما ولي القضاء بمدينة طَرَطُوسْ، وهي مدينة على ساحل الشام، بناها الخليفة المهدي سنة 168هـ، حسب ما رواه ابن الجزار.-انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص62.

[2] المتوفى سنة 277هـ، <<هو الحافظ الإمام الحجَّة>>، قال عنه أبو زرعة الدمشقي << كان نبيلاً جليل القدر>>، ومن مؤلفاته كتاب التاريخ، ومعجم الشيوخ، وكتاب السُّنة، وكتاب النوازل وغيرها. -انظر: الذهبي، المصدر السابق، ص582. وأيضاً: العمري، المرجع السابق، ص132.

[3] المتوفي سنة277هـ وهو محمد بن يعقوب بن معقل بن سنان المحدث، مسْند العصر، أبو العباس الأموي السّنانيُّ المعقليُّ النيسابوري الأصم، كان يكره أنّ يقال له الأصم فسمي المعقليُّ، قام برحلات لعدة بلدان وحدث بها منها الأندلس، فارس وغيرها. انظر: الزركلي، المصدر السابق، ج15، ص ص452-455.

[4] المتوفي سنة137هـ هو أبو يحي زكريا بن يحي بن عبد الرحمان بن أبيض بن الدَّيلم بن باسل بن ضبّة الضِّبي البصري الشافعي الإمام المحدث المفتي، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري، قال عنه أبو إسحاق في «طبقات الشافعية": ومنهم أبو زكريا بن يحي السّاجي.....وله كتاب: "اختلاف العلماء"، وكتاب "علل الحديث". -انظر: العسقلاني، المصدر السابق، ص21.

[5] المتوفي سنة334هـ/946م، وهو يزيد بن محمد بن إلياس أبو زكريا الأزدي، مؤرخ من حفاظ أهل الحديث بالبصرة، من مؤلفاته طبقات محدثي الموصل. -نظر: الزركلي، المصدر السابق، ج8، ص118.

[6] المتوفى سنة 385هـ، قال عنه البغدادي:<<كان ثقة صالحاً، زاهد بغداد، ومحدثها الصادق>>، ومن مؤلفاته "معجم الشيوخ" وغيره. -انظر: الذهبي، المصدر السابق، ص989. -وأيضاً: العمري، المرجع السابق، ص419.

[7] نفسه، ص ص99، 100.

كما أنَّ البغدادي كشف عن الروايات الشاذة[1]، وهذا يؤكّد أيضا معرفته الواسعة، ويرجع هذا الاختلاف في الروايات إمَّا في أسماء الرواة، أو التوهم فيها، أو تصحيفها، أو جعل الاثْنين واحداً أو الخطأ في الكنى أو الأنساب، أو في تحديد طبقة الرجل، أو موضع قبره، أو وقوع التصحيف في ألفاظ الأحاديث، أو النقص في أسانيدها؛ ليشكك في الروايات التي تحتمل الصواب والخطأ في آن واحد، إذّ ينفي النّص كما وجده، وبعدها يُعقّب على النَّص[2] ويصححه.

أمَّا رابع الأمر–تدقيقه وحيطته– يعتمد الخطيب على التحقيق والتدقيق في الخبر قبل الأخذ به، وكان يتوقف أمام أسماء بعض الرواة الذين لا تتوفر له معلومات كافية، للتعريف بهم، فيذكر الاحتمالات دون أن يجازف، أو يقصر بترك التعقيب عليهم، وكان ينبذ المجازفة في العلم، وفي حال سرده أخبار عن الصوفية العجيبة، يُعبر بلفظ "يحكى عن"، علماً أنَّ البغدادي لم ينتقد سائر الروايات، بل أغفل بعضها، ومثال ذلك: مبالغة أحمد بن أبي طاهر في روايته عن مسابح بغداد، وعدد حماماتها ومساجدها، وقد أشار الحافظ الذهبي إلى هذه المبالغة[3].

أمَّا بالنسبة إلى منهجه في ترتيب "كتاب بغداد"، رتبه على أساس الحروف، وبدأ كتابه باسم محمد تكريما لرسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم، وبدأ بمحمد بن إسحاق، وقال معتذراً، أنَّه بدأ به لأنَّه لم يجد أكبر سنّاً، أو أعلى إسنادً منه، ويظهر لنا من تاريخه، تكرار بعض التراجم، وسبب ذلك أنَّه ترجم لرجل باسمه، ثُّم يعيده حسب اللّقب المشهور به، أو يكون له اسمان، ومن حيث تكرار الروايات فإنَّ الخطيب يتفادى ذلك بالإحالة إلى موضع الرواية التي سبق إيرادها، وكذلك كان يحيل إلى مؤلفاته، إنَّ احتاج الأمر إلى التفصيل الجامع، وأوهام الجمع والتفريق، ومناقب أحمد بن حنبل[4].

---

[1] فيما رواه الشافعي قال:<< الذي عليه حفاظ الحديث أنَّ الشاذ ما ليس له إلاَّ إسنادً واحداً يشذُّ بذلك شيخ ثقة كان أو غير شيخ ثقة، فما كان عن غير ثقة فمتروك لا يقبل، وما كان عن ثقة يتوقف فيه ولا يحتجُّ به>>. –انظر: ابن الصلاح، المصدر السابق، ص77.

[2] هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد. –انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص237.

[3] العمري، المرجع السابق، ص ص101، 102.

[4] نفسه، ص ص103، 104.

المبحث الثالث: التعليم والعلماء في بغداد.

أولا: التعليم في بغداد.

ثانيا: العلماء في بغداد.

أولاً: التعليم في بـغـداد.

حظي العلم[1] في الإسلام بالقدسية، حيث جَعلَ((طلب العلم فريضة على كل مسلم))[2]، كما وردت عدة آيات وأحاديث، تشير إلى طلبه ونشره، وبيان فضله طالبه، فالعلم تاج المعرفة وطريق صدق بالحق لمن خاف ربَّه، وغار على دينه، مصدقاً لقوله تعالى:﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَمَهُ شَدِيدُ اَلْقِوَىَ﴾[3]، وقولـه أيضاً:﴿خَلَقَ اَلْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ اَلْبَيَانَ﴾[4]، فأول دعوة وجهها الخالق سبحانه وتعالى لعبده أزكى الصلاة علية قوله:﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رِبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ اَلْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾[5].

فالقراءة والتحصيل استمرار للعلم، وإثراء للمعرفة الإنسانية، وبذلك لقي التعليم عناية عند المسلمين، إذّ لكل بداية مراحل، وهذا ما ينطبق على التعليم، حيث ينقسم التعليم إلى مرحلتين هامتين ألاَّ وهما؛ مرحلة ابتدائية، ومرحلة عليا، لتشمل كل مرحلة على الآتي:

أ- المرحلة الابتدائية:

1- الكتاتيب: كان التعليم في هذه المرحلة يقام في مدارس تعرف باسم الكُتَّاب أو المكتب، وقد ذكر الخطيب البغدادي أنَّ هذه المدارس تواجدت منذ عام 176هـ/892م، إذّ امتلك رجل من كندة[6] مكتباً[7]. والكُتّاب هو المكـان الذي يتعلم فـيـه الصَّبي، ويطلـق عليه اسـم الكتاتيب، وهي منتشرة في أرجـاء

---

[1] قال بعض العلماء: أقصد من أصناف العلم إلى ما هو أشهى إلى نفسك وأحق على قلبك، فإنَّ نفاذك فيه على حسب شهوتك له، وسهولتك عليك، كما قال في العلم بعض الحكماء: لست أطلب العلم طمعا في بلوغ غايته، والوقوف على نهايته، ولكن اِلْتِمَاسُ ما لا يسع جهله، ولا يحسن بالعاقل إغفاله، وقال آخرون: علمُ الملوك النسب والخبر وجملُ الفقه، وعلمُ التجار الحساب والكتاب، وعلم أصحاب الحرب، دَرْسُ كتب المغازي وكتب السِّير.-انظر: أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح: علي بوملجم، مج3، د.ط، دار مكتبة الهلال، 2002م، ص243.

[2] أكرم العمري، **عصر الخلافة الراشدة-محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق مناهج المحدّثين**، د.ط، مكتبة العبيكات، المدينة المنورة، 1414هـ/1993م، ص273.

[3] سـورة النَّجـم، الآيـة (02).

[4] سـورة الرحمـان، الآيـة (04).

[5] سـورة العلـق، الآيـة (01).

[6] هي من (كُنْدُ): بالضم ثم السكون، من قرى سمرقند أمَّا-كـنـدة: بالكسر، مخالف كند: باليمن اسـم القبيلة.انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج4، ص482. .

[7] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص51.

المدن، ونواحيها وفي القرى، وقد تكون بجوار المساجد، أو بعيدة عنها، ولا تكون بداخلها والكتاب عبارة عن مكان صغير في المنزل أو حانوتاً صغير، يقصده الصبيان لتعلم قراءة القرآن والكتابة ومبادئ اللّغة العربية، وعادة ما كان الناشئ يتعلم الحساب، وبعض الأشعار والأمثال، وكان بعض معلمي هذه الكتاتيب يعلمون الصبيان أيضاً، السُّنن والفرائض، والنحو والعروض[1]، ويذكر ابن سينا[2]، أنَّ هذه المرحلة تبدأ عندما يتهيأ الطفل للتعلم جسمياً وعقلياً، ونفسياً، ويرى أنْ يتعلم منها ضروريات الدين، وأصول اللُّغة، ثم يروي قدراً من الشعر[3].

أمَّا طريقة تعليم الصبيان في الكُتّاب، فقد كان لكل صبيٍّ لوح من الخشب العادي، يدون فيه الدروس الملقاة عليه، وكلَّما فرغ من درسٍ محاه منها، وكتب مكانه درساً آخر[4]، أمَّا طريقة حفظ القرآن الكريم فكانت جماعية، وأحياناً فردية، يكرر الولد ما تمَّ تثبيته في اللوح بحضور المعلم[5]، فالقرآن أصل التعليم الذي يُنبني عليه ما يحصل بَعدَ من الملكات في جميع الأمصار الإسلامية، فتعلمه يساعد على ترسيخ الإيمان في النفوس، خاصة أثناء مزاولته منذ الصغر؛ بقول ابن خلدون:<< اِعلم أنَّ تعليم الولدان القرآن شعار الدين...لم يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان وعقائده...التعليم في الصغر أشدُّ رسوخاً، وهو أصل لما بعده >>[6].

أمَّا بالنسبة لسِّن دخول الولدان إلى الكُتّاب وتخريجهم منه، فلم يكن يحدد عمر دخول الناشئ إلى المكتب، ولا عدد السنين التي يقضيها في الدراسة، كان الطفل في الأغلب يتهيأ إلى الكُتَّاب، وهو ابن السابعة، بعد تعليمه في المنزل، وقد ذُكر أحياناً أنَّ الصّبي يتجه إلى الكُتّاب في سنِّ الخامسة والسادسة وذلك حسب فهم الطفل، وإدراكه للأشياء، وكذا تمييزه بين الصواب والخطأ، فعن أبي بكر بن العربي

---

[1] شوقي ضيف، **تاريخ الأدب العربي–العصر العباسي الأول**، ج1، ط16، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2004م، ص99.

[2] المتوفى سنة 370هـ–428هـ وهو أبو علي الحسين بن عبد **الله** بن سينا، درس اللّغة والأدب في سنِّ العاشرة، قام بعدة رحلات ناظر خلالها العديد من العلماء، تولى منصب الوزارة بهمذان بين سنة(406–411هـ)، حيث ألـمَّ بكل معارف عصره إلماماً شاملاً.–انظر: أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب بن قنفد القسنطيني، **الوفيات**، تح:عادل نويْهض، ط4، دار الأوقاف الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م، ص235.

[3] حسين عبد **الله** بَانَبيْلَه، **ابن خلدون وتراثه التربوي**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م، ص70.

[4] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص100.

[5] أحمد فؤاد الأهواني، **التربية في الإسلام**، د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص65.

[6] حسن عبد **الله** بَانَبيْلَه، المرجع السابق، ص ص475، 476.

قال: << وللقوم في التعليم سيرة بديعة وهو أنَّ الصغير منهم إذ عقل بعثوه إلى المكتب>>[1]، أمَّا عن تخريج التلاميذ من المكتب، ولم يكن له سِّن محدد، حيث ورد أنَّ بعض العلماء تخرجوا في سِّن مبكرة، ومثال ذلك الإمام البخاري، الذي تخرج وعمره لا يتعدى عشر سنوات إضافة إلى أنَّ الأصبهاني أحد أئمة الظاهرية، بدأ في تأليف مصنفه "الزهرة" وهو في الكُتَّاب[2]، كما استّدل ابن سينا بقوله: << ثم انتقلت إلى بخارى، وأحضرت معلم القرآن ومعلم الأدب، وأكملت العشر من العمر، وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب، حتى كان يقضي مني العجب >> في حين كان البعض يلازمون الكتَّاب حتى سِّن الثالثة عشر أو الخامسة عشر سنة وهو سِّن الاحتلام[3].

2- المؤدبين:

إنَّ الحديث عن التعليم، لا بُّد فيه من التعرف على ملقِّنيه أيّْ مدرِّسيه، الذين عرفوا باسم المعلمين أو المكتبين أو المؤدبين، علماً أنَّ بعض الأمراء، كان تعليمهم في الكتاتيب أو ما عرف بالكُّتَاب فيما سبق ذكره على يد مؤدبين من ذوي الاختصاص، فالخلفاء العباسين كانوا حريصين على تعليم وتربية أولادهم حرصاً كبيراً، وهذا ما جعلهم يختارون المؤدبين بأنفسهم[4]، ويذكر أنَّ "الأمين[5]" لـمَّا بلغ الخامسة من عمره، أحضر له والده الرشيد[6]، خيرة علماء عصره منهم الكسائي[7]، والأصمعي

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص59.

[2] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص52.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص61.

[4] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص52، 53.

[5] المتوفى سنة 193-198هـ هو ولد الرشيد، وليَّ الأمر بعده، كان فصيحاً، أديباً، كريماً، بالرغم من إسرافه على ملذاته. -انظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 73.

[6] المتوفى سنة 170-193هـ وهو أبو جعفر هارون بن محمد المهدي، من أعظم خلفاء بني العباس، أصبحت بغداد في عهده كعبة للعلم والأدب، كان ديناً محافظاً على التكاليف الشرعية، يغزو سنة ويحجُّ سنة، فكان سلطاناً ذا ثروة وعلم وأدب. -انظر: نفسه، ص69. -وأيضاً: محمد بن محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، د.ط، القاهرة، مصر، 1350هـ، ص112.

[7] هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن يهن بن فيروز الأسدي بالولاء، قيل له الكسائي لأنّه دخل الكوفة، وهو ملتف بكساء كان أحد القراء السّبعة، إمام النّحو واللّغة والقراءات.انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص ص295، 296.

هذا الأخير فيما رواه أنَّ الخليفة قال:<< لا تعلمه ما يفسد دينه >>، فتلقى الأمير القرآن وأحكامه وروى الشعر واللّغة[1].

ومن بين المؤدبين أيضاً أبي محمد يحي، مؤدب المأمون[2]، حيث قال: "كان المأمون طفلاً وأنا أُقْرِئُه"ألم نشرح"، وحضرت صلاة الظهر فصليت قاعداً، وأخطأ فقمت لأضربه فقال: أيُّها الشيخ! أتطيع **الله** قاعداً وتعصيه قائماً ؟!"[3]، وعليه كان من واجب المعلم الشفقة على المتعلمين ورعايتهم كأولاده مع تقديم النّصح والإرشاد والتوجيه، ولا يبخل بذلك، إضافة إلى عدم تكليف المعلم "المتلقي" فوق طاقته، بل يعطيه العلم درجات حتى يتمكن من الاستيعاب والفهم وتحليه بالأخلاق والصدق، ليكون قدوة لتلامذته، وأنْ يكون مسؤولاً عن تعليم الأولاد، مكارم الأخلاق لقول رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم: ((كُلُكُمْ رَاعٍ وَكُلُكُمْ مَسْؤُول عَنْ رَعِيَتِه))[4]، وفي ضمار ما ورد فإنَّ الإمام الشافعي، بعث وصيّة لمؤدب أولاد الرشيد، يخبره فيها بأنْ يحسِّن سلوكه، ويعلمهم الكتاب باللِّين واللطف[5].

علاوةً على ذلك فإنَّ المؤدبين تمتعوا بمكانة سامية، لدى الخلفاء والأمراء، نظراً للخدمات التي كانوا يقدمونها لأولادهم، إلى جانب حسن المعاملة مع استعمال الشِّدة معهم، إلاَّ إذا اقتضت الضرورة لذلك، والتي تخدم صالحهم، كما أنَّ هؤلاء شغلوا مناصب عليا في السلطة، كقضاة ومحتسبين[6] وفي رواية عن أحمد بن حنبل قال: <<كان أبي لا يرى بالكُتَّاب عن هؤلاء الشيوخ بأساً، ومنهم محمد بن الصباح المؤدب(ت227هـ)، ومحمد بن راشد أبو يحي الخزاعي المعروف بالمكحولي (160هـ) محدث

---

[1] عبد العزيز الدوري، **العصر العباسي الأول–دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د.ت، ص ص144، 145.

[2] (197–218هـ/812–833م)، هو أبو العباس عبد **الله** المأمون ابن هارون الرشيد، بويع بالخلافة وهو بخرسان في سنة197هـ، أمَّا البيعة العامة ببغداد فكانت سنة 198هـ، وعدَّ عصره من أزهى عصور الدولة العباسية من الناحية العلمية، فقد شجع بدوره على النهضة الفكرية، ولقد شهدت له بيت الحكمة على ذلك، إذّ زودها بمختلف أنواع الكتب، لتصبح جامعة تضم دارً للكتب، ومجتمع لشيوخ عصر الترجمة والتأليف. –انظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص78–89.

[3] أبو بكر بن عبد **الله** بن أبيك الدَواداري، **الـدُّرة السُّنية في أخبار الـدولـة العباسية**، تح: دوروتيا كراقولّكي، د.ط، مـركـز ودور المخطوطات، بيروت، لبنان، 1413هـ/1996م، ص174.

[4] محمد بن إسماعيل أبو عبد **الله** البخاري الجعفي، **الأدب المفـرد**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، ط3، دار البصائر الإسلامية بيروت، لبنان،1409هـ/1989م، ص81.

[5] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص52، 53.

[6] نـفسـه، ص53.

بغداد[1]، ومحمد بن موسى بن المثنى أبو بكر العقبة الداودي من أهل النهروان، المؤدب (385/300هـ)، إذّ قال عنه البُرقاني ثقة، نبيل>>[2]، علماً أنَّ المؤدبين والمعلمين كانوا يختلفون في المنزلة، وعليه فإنَّ المعلمين تعرضوا في غالب الأحيان، إلى الاستهزاء والسخرية، ولم يحظوا باهتمام الخلفاء[3].

أمَّا عن أجور المعلمين، فقد أُختلف فيه بحسب طبقة المجتمع البغدادي، فكان هؤلاء المدرسون يتقاضون من الناشئة، أجوراً زهيدة لا تتجاوز أحيانا بعض قطعٍ من الخبز، وهذه الأخيرة تختلف أحجامها، وأنواعها باختلاف أحوال آبائهم غنىً وفقراً، كما انقسم المعلمون إلى معلمي الطبقة العامة ومعلمي الطبقة الخاصة من الخلفاء، الوزراء، والأغنياء، وفيما روى الجاحظ عن معلمي الطبقة الوسطى قوله: << يكون الرجل نحوياً عروضياً، وقسماً فرضياً، وحسن الكتاب، جيّد الحساب، حافظاً للقرآن راوية للشعر، وهو يرضى أنْ يعلم أولادنا بستين درهماً >>، وعلى خلاف ذلك معلمي أبناء الخلفاء والوزراء، وغيرهم من أصحاب السلطة والمال، الذين كانوا يأخذون رواتب كبيرة، تجعلهم يعيشون في رهف العيش، ومن بينهم المفضل الضبي معلم المهدي[4]، والكسائي معلم الرشيد، وابنيه الأمين والمأمون وقطرب[5] مؤدب الأمين، كما أنَّ علي بن المبارك الأحمر أحد مؤدبي الأمين أيضاً، يقال أنَّه أعطاه يوماً ثلاثمائة ألف درهم، إضافة إلى الفراء[6] معلم أبناء المأمون[7].

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، مج3، ص ص181-344.

[2] نفسه، مج4، ص404.

[3] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص53.

[4] هو أبو عبد **الله** محمد بن علي بن عبد **الله** بن العباس، يكنى بالجموح، كان ذا نكتة، قيل بويع بالخلافة ببغداد مدة عشرَ سنين، وشهراً، ويوماً واحداً، كان كثير الولاية والعزل بدون سبب.-انظر: الداوداري، المصدر السابق، ص60.

[5] هو أبو علي بن المستنير بن أحمد النحوي اللغوي البصري، أخذ الأدب عن سيبويه، أمَّا تصانيفه منها، كتاب النوادر، في حين أنَّ كلمة قطرب تعني، اسم دُوْيبة لا تَزَالُ ولا تَفْقَرْ، وعليه فهي بضّم القاف وسكون الطاء المهملة، وضّم الرَّاء وبعدها باء موحدة. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص312.

[6] المتوفى سنة207هـ وهو يحي بن زياد، عالم النحو، كان رأساً في قوة الحفظ، أملى تصنيفاته كلها حفظاً، وهو أمير المؤمنين في الحفظ، قال عنه ثعلب "لولا الفراء ما كانت اللغة ". -انظر: الذهبي، المصدر السابق، ص369. -وأيضاً: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص114.

[7] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص ص100، 101.

أمَّا من حيث تقاضي المعلم أجـر تـعليم القرآن الـكريم، فهناك من يجعله أمراً مـكروهاً بدليـل: << أنَّ القرآن يعلم **لله** فلا يمكن أنْ يؤخذ عنه عوض >>، ومن بين هؤلاء الإمام الغزالي، الذي حرَّم أجر المعلم المرشد بقوله:" فلا يطلب على إفادة العلم أجراً، ولا يقصد به جزاءً ولا شكوراً، بل يُعلِّم لوجه **الله** تعالى وطلباً للتقرب إليه، ولا يرى لنفسه منه عليهم، وإذا كانت المناة لازمةً لهم"، وقوله أيضاً: << فأنظر كيف أنهى أمر الدين إلى قوم يزعمون أنَّ مقصودهم التقرب إلى **الله** تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام، والتدريس فيهما وفي غيرهما، فإنَّهم يبذلون المال والجاه، ويتحملون صفات الذُّلِ في خدمة السلاطين لإعطاء الجرايات...فأخْسسُ بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة، ثمَّ يفرح بها، ثمَّ لا يستحي من يقول غرضي من التدريس، نشر العلم تقرباً إلى **الله** تعالى، ونصرة دينه>>[1]، في حين ذكر أبو العباس أحمد عقبة(ت332هـ)، أنَّه يوماً اختلط عليه تعليم النـحو بالـقرآن فقال: <<لا يستحيل أنْ آخذ شيئاً ولـو دفعت إليَّ الـدنيا>>[2]، وعلى خلاف ذلـك قـال الإمـام البخاري: << إنَّ أحق ما اتخذتم عليه أجراً كتاب **الله** >>[3]، ومن هنا فإنَّ مختلف وجهات النظر متعارضة حول ما سبق الذكر، على غرار أنَّ تقاضي المعلم أو ما شابهه، أجراً على التعليم وبالأخص كتاب المولى عزَّ وجَّل والذي اعتبره البعض مصدر الكسب وعماد المعاش، وهناك من وصفه بأنَّه مذّلة وإهانة، إذّ لا يجوز تعليم القرآن بالمال، بل نشره في سبيل **الله** تعالى.

عمومـاً شكلت المـرحلة الابتدائية في التعليم؛ أيّ تعـليم الصَّبي في الـكُـتّـاب"الطريـق المـبسط" أو القاعدة الثابتة التي بواسطتها، يستطيع الصَّبي العبور إلى مرحلة أخرى يكون فيها، أكثر نضجـاً وإدراكاً للعلوم المختلفة.

ب) المرحلة العليا: يُعتبر التعليم العالي المرحلة الثانية بعد مرحلة التعليم العام، إذّ لاشك أنَّ الغاية من التعليم والتربية في هذه المرحلة عند ابن سينا يكمن في الإعداد المهني؛ فهي غاية حيوية عملية، لذلك يرى أنَّ الرغبة وحدها لا تكفي، لا بدَّ من الاستعداد الملائم [4].

---

[1] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص215.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج6، ص150.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص221.

[4] حسين عبد **الله** نَانبيله، المرجع السابق، ص70.

فبدايةً كان التعليم هو التعرف على العقيدة الإسلامية وفهمها، ومن جهة أخرى كان لابدَّ من التمييز بين نظامين مختلفين في هذه المرحلة، الأول عرف باسم نظام الحلقة، أمَّا الثاني هو نظام المجلس.

*** الحلـقـة:**

ظهر نظام الحلقة في المرحلة العليا، واستمر التعامل بهذا النوع من التعليم حتى بعد تشّيد المدارس التعليمية، ومازال حتى الوقت الحالي يتعامل به في الزوايـا والمساجد، وقـد وصفـه الخطيب البغدادي في "تاريخ بغداد"، بأنَّه صفوف دراسية دائمة محدودة لعدد الطلاب، لتشمل هذه الحلقة دراسة مختلف أنواع العلوم، والنقلية أكثرها، كعلم النحو[1].

ومن أشهر حلقاته حلقة الخليل بن أحمد الفراهيدي[2] التي أصبحت بمثابة مؤسسة فكرية كبيرة، شغلها طلابه بعده، فضلاً عن حلقات أصحاب الحديث، التي كانت تقام أيام الجمعة في جامع الرصافة[3] وحلقة الحنابلة في جامع المنصور، وحلقات أبي إسحاق بن أحمد المروزي، التي أقيمت بجامع المنصور أيضاً، وألـقـى التدريس فيها الإمام الأشعري، علم الكلام[4].

---

[1] كانت فكرة العلماء حفظ لغة القرآن، واختراع صناعة جديدة تحفظ لغة الذكر، وتسهل على المسلمين تقوية ألسنتهم وأقلامهم، فكان فتح الطريق أمام تعلم علم النحو، ويقول الكسائي:

إنَّما النحو قـيـاس يتبـع وبـه كـل علـم ينـتـفـع

وإذا ما أبصر النحو للفتى مرَّ في المنطق مرَّ فاتسع. -انظر: محمد المختار ولد أبَّاه، **تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م، ص108.

[2] المتوفى سنة 100-174هـ وهو الخليل بن أحمد أبو عبد الرحمان الفراهيدي، الزاهد، العالم، أول من استخرج العروض(البحور الشعرية، الدوائر العروضية)، وحصر أشعار العرب بها، كان غاية في استخراج المسائل النحوية.-انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص30.

[3] بناه الخليفة المنصور في الجانب الشرقي من بغداد، محاذي لقصره، كانت تقام فيه الجمع، وشهد خلافة المهدي، إذّ كان المسجد الجامع الوحيد، الذي يقام فيه أيام الجمع.-انظر: طـــه الـراوي، المصدر السابق، ص68.

[4] يقصد بعلم الكلام تلك الأقوال التي تصاغ على نمط منطقي أو جدلي، وقد أطلق على المهتمين بهذا العلم(المتكلمين)، وكان علم الكلام يطلق في البداية على أصحاب العقائد الدينية، ولكن فيما بعد أصبح يطلق على من يخالفون المعتزلة، ويتبعون أهل السُّنة والجماعة.-انظر: رفيدة إسماعيل، **بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية**، أطروحة لنيل شهادة ماجستير الآداب في التاريخ، إشراف زين الدين الفاتح، جامعة الخرطوم، السودان، 2009م.

وحلقة أبو الحسن النَّساخ الصوفي[1]، في علم الكلام، ومنه فلقد شملت الحلقة العامة، ولم تختص بمحدث معين، وكان يغلب عليها اسم المجلس[2].

*** المجلس:**

حيث مثل المجلس النوع الثاني في المرحلة العليا، ليشكل مؤسسة تعليمية لدى المسلمين، إذّ تعددت المجالس على حسب تنوع العلوم، فبرز منها مجلس الحسين بن إسماعيل المحاملي، الذي كان يعقده داخل منزله، فضلاً عن مجلس الإمام الشافعي، الذي حضره المسلمون في جامع المنصور ببغداد ومجلس الأدب في علم النحو والشعر، وغير ذلك، هذا على غرار ما سيتم ذكره من المجالس[3].

أ) مجالس الحديث:

يعتبر علم الحديث من أهم مصادر التشريع الإسلامي، وهو كل ما صدر عن نبِّي **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم من قول وفعل، أو تقرير، ويعدُّ المصدر الثاني بعد كتاب **اللَّه** العزيز من حيث الأهمية[4] حيث كوَّن المحدثين مجالس لرواية الحديث، فكان منها ما هو مستمر، وما هو محدود، يحضره ذوي الاختصاص لتتنوع مجالس الحديث، ومنها مجلس الشيخ عاصم بن علي(ت221هـ)، في مسجد الرصافة، وكانت هناك مجالس تقام في بعض بيوت المحدِّثين، يعقدها الشّيوخ ذوي الكفاءة العلمية، إذّ يعقد المحدِّث مجلساً خاصاً، فيلتفُّ من حوله الطلبة، ليروي بدوره الحديث عليهم، وهم يستمعون ويدوِّنون ذلك، كما تستغرق وقتاً هذه الجلسات، لصعوبة الأمر نوعاً ما[5].

لنذكر أيضاً من مجالس الحديث، مجلس زكريا بن الحارث أبو يحي البصري[6]، الذي روى في مجلسه بقوله:<<حدثنا...قال:...عن عروة، عن عائشة أنَّ رسول **الله** صلّى **الله** عليه وسلم، دخل عليها

---

[1] هو خير بن عبد **الله** أبو الحسن النساج الصوفي، من أهل سمرقند، سمي خير النساخ، لأنَّه خرج يوماً إلى الحج، فأخذه رجل على باب الكوفة، وقال: أنت عبدي، واسمك خير، وقد استعمله في نسج الخزِّ. -انظر: البغدادي، المصدر السابق، مج9، ص308.

[2] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص55.

[3] نفسه، ص55.

[4] رفيدة إسماعيل، المرجع السابق، ص23.

[5] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص55، 56.

[6] هو زكريا بن الحارث بن ميمون أبو يحي البصري، المعروف بشريك البسري(ت160هـ)، صدوق، حسن الحديث. -انظر: البغدادي، المصدر السابق، مج9، ص474.

وعليها سوران ذهب وفضة، فقال: ألَّا أدلـكِ على خيْرٍ من ذلـك تجعليه من ورق وتُخلَقيه، فيجيـر كـأنَّه من ذهب>>[1].

بالإضافة إلى مجلس عبد **الله** بن المبارك أبو عبد الرحمان[2]، حتَّى قيـل أنَّ أصحاب الحديـث إذا تشاجروا في حديث، قالوا مرُوا بنا إلى هذا الطيِّب حتى نسأله، ولا ننسى مجلس[3]إبراهيم الحربي[4].

ب) مجالس التدريس:

تنوعت مجالس التدريس بتنوع العلوم، فكانت مدارس تعليمية، يتم فيها تعليـم الفـقـه، والأدب علم النحو، وعلم الكلام، وقد كان يحضره عامة الناس من مختلف الأعمار، ولم يكن هناك زمن معين لتخريج الطلبة، بل بحسب فَهْمِ الطالب، ونذكر من هذه المجالس مجلس أبي حامد الإسفراييني، الذي اكتظ بالطلبة، بلغ عددهم حوالي 700متفقةً.

ج) مجالس المناظرة:

إنَّ مصطلح المناظرة مشتق من النظر والفكر، والمناظرة لا تقع إلاّ بين اثنين، وهي في نظر غالبية أصحاب الحديث مرادف للمحادثة[5]، فشكلت المناظرة نوعاً من الحوار الجِّدالي، لتكون بين طرفين حول قضية مبيَّنة، وبذلك شملت مختلف العلوم، وتعددت بذلك موضوعاتها الدينية منهـا والأدبية وارتقت حتى وصلت إلى درجة كبيرة؛ أيْ وصلت لطبقة الخلفاء والوزراء، فكان من شروط هذه

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، مج9، ص474.

[2](119-181هـ) هو عبد **الله** بن المبارك أبو عبد الرحمان المروزي، مولى بن حنظلة، العالم، الحافظ، الزاهد، محدث بغداد، الثقة، كان عبداً لتاجرٍ من همذان، من بني حنظلة، جمع عبد **الله** بن المبارك الحديث والفقه، والتجارة، إذّ كان أحد من تشَّد إليه الرحال لِنَّهل من مُعين علمه وفضله، كان راوياً للشعر، فصيح اللسان. -انظر: البغدادي، المصدر السابق، مج11، ص389. -أيضاً: شوقي ضيف، المرجع السابق، ص403.

[3] المتوفى سنة150هـ وهو إبراهيم بن إسحاق الحربي، قال عنه الذهبي "الإمام الحافظ، شيخ الإسلام...أحد الأعلام"، وقال عنه الخطيب:<< كان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام...>>، ومن مؤلفاته، كتاب عدد سجود القرآن المناسك، قال فيه محمد بن صالح القاضي: <<لا نعلم أنَّ بغداد أخرجت مثل إبراهيم الحربي في الفقه والحديث والأدب والزهد>> انظر: البغدادي، المصدر السابق، مج2، ص360. -وأيضاً: العمري، المرجع السابق، ص357. -والذهبي: المصدر السابق، ج2، ص585.

[4] البغدادي، المصدر السابق، مج9، ص ص396-474.

[5] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص56.

المناظرات في بادئ الأمر التحلي بالسلوك الحسن، اللائق بلغة الحوار، وعدم المعارضة، مع قبول رأي الطرف الآخر، الأمانة، وصدق القول[1].

في حين كانت هذه المجالس تـعقـد في بغداد، بتعدد علومهـا، وكـان الناس يقصدونها ليطلعـوا على ما يدور فيها من حسن الحوار، واحتكاك الأفكار بمثلها، ليطغى الأدب المتبادل في تلك المجالس ولازم ذلك الدِّقة في البحث، وخيَّمت على مجالس المناظرة[2]، لتنتشر هذه الأخيرة في الـدور والقصـور والمساجد بين العلماء، وبحضرة الخلفاء في الفقه، النحو، الصرف، اللّغة، والمسائل الدينية، ومن جهة أخرى شجع الخلفاء العباسيون، المناظرات لتطوير أبحاثهم، لتنال بغداد شهرة واسعة، جراء عقد مجالس المناظرات، وكلُّ الفضل يعود لأكابر العلماء، وما يندرج ضمن كل عالم.

وقد شهد عهد المأمون، انتشاراً لهذه المناظـرات العلمية، وهـذا ما دفـع العلماء على الاجتهـاد في عدة مسائل وقضايا، حتى يكتسبوا فنّ التحاور، بالحجة والدليل[3]، ومما رُوِيَ من مناظرة المأمون مع المرتد الخرساني، أنَّه عقد مجلساً مع خرساني ارتدَّ في عهده وجرى بينهم الحوار، الذي تضَّمن قـول المأمون: ما الشيء الذي ستوحشك؟ قال المرتد: أوحشني كثرة ما رأيت من الاختلاف بينكم، قال المأمون: لنا اختلافان؛ الأول في الأذان، وصلاة الأعياد، والتشهد، وتكبير الجنائز، وما هو باختلاف وإنمَّا تخيير؟-أمَّا الثاني فهو اختلاف في تأويل الآية من كتابنا، وتأويل الحديث عن نبِّينا.-قال المرتد: أشهد أنَّ **الله** واحد، وأنَّ محمد رسوله، وأنَّك أمير المؤمنين[4].

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص57.

[2] طـه الـراوي، المصدر السابق، ص14.

[3] رفـيدة إسماعيل، المرجع السابق، ص ص34-36.

[4] محمد أبـو زهـرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، ج1، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ص143.

وكذا مجالس المأمون مع البرامكة، التي اكتظت بها المناظرات، وكان وراء مجالسهما، مجالس صغيرة كثيرة يجتمع فيها المتناظرون، من الشيعة[1]، والزنادقة[2]، والمتكلمين[3]، التي انصب موضوعها في المسائل العقائدية، وغير العقائدية، ومنها مناظرة الشافعي ومحمد بن الحسن الشيباني[4]، وبناءً على أنَّ ما يعرف بالمعتزلة[5] قد شغلوا الفكر الإسلامي، بمناظراتهم في علم الكلام، فازدحمت فيها مجالس الأمراء والوزراء والعلماء وتضاربت فيها الآراء، والذي ميَّزهم في المناظرة، الامتناع عن متابعة غيرهم، واحترام الآراء والاستشهاد وقول الحقيقة، وقاعدتهم أنَّ كل مؤمن، مكلف، مطالب، بما يؤديه إليه اجتهاده في أصول الدين[6].

وعلى سبيل ذكر المناظرات، نذكر مناظرة في الأدب بين"المبرد"[7]، وأبو العباس ثعلب[8]، تتعلق بالنَّحو ويمكن القول، أنَّ هذا الخصام حول هذه المناظرة، بدأ حينما دخل"المبرد" بغداد أيام المتوكل واستمرت حوالي أربعين سنة وخلاصتها، الاختلاف حول معنى بيت امرؤ القيس:

لَهَا متنتان حَظّاتَاْ كَمَا أكبَّ على سَاعدْيه النمرُ[9].

---

[1] هم الذين شايعوا علي كرَّم **الله** وجهه وأرضاه، وقالوا أنَّه الإمام بعد رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم، اعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج عنه وعن أولاده. –انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص 133.

[2] أصلهم من أبرار المانوية؛ والأرجح أنَّ كلمة زنديق مقتبسة من الأصل الآرامي"صديق"، ثُّم أصبحت بالفارسية"زَنْدِيكْ"، فعربت إلى"زنديق" بمعنى ملحد بدليل أنَّ الزنادقة كانوا يقولون **التنويه**، ويتبعون معاني **ماني**، ليتطور مفهوم الزندقة ويشمل جميع أتباع الهرطقة والنحل الفارسية، ثمَّ الملحدين والمشككين في الدين.انظر: عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص ص148، 149

[3] نسبةً للمذهب الكلامي هو إيراد حجة للمطلوب على طريق أهل الكلام ملازمة ويستثنى عين الملزوم، أو يُورد قرينة دالة على المطلوب.انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص ص206، 207.

[4] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص457.

[5]هم أصحاب واصل بن عطاء الغزالي أبو حذيفة (ت131هـ)، أحد أئمة البُلغاء المتكلمين، سموا بالمعتزلة لاعتزال رئيسهم درس الحسن البصري(ت110هـ) الذي كان إماما بالبصرة ، فقيهاً وعالماً.انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص219.

[6] أبو زهرة محمد، المرجع السابق، ص132.

[7] المتوفى سنة 210–285هـ وهو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي، المعروف بالمبرِّد، من قبيلة الأزد، شاعر، نحوي، وحافظ للأخبار دون أسانيد.–انظر: أبي سعيد الحسن بن عبد **الله** السَّيرافي القاضي، **أخبار النحويين البصريين**، تح: طه محمد عبد المنعم خفاجي، د.ط، مكتبة مصطفي الباجي الحلبي، القاهرة، مصر، د.ت، ص ص72–78.

[8] المتوفى سنة 200–291هـ وهو إمام الكوفيين في النحو واللّغة، العالم، المفتي، حسن الطبع. –انظر: نفسه، ص ص78، 79.

[9] محمد مختار ولد أبَّاه، المرجع السابق، ص62.

إضافة إلى مناظرة عبد **الله** بن إسحاق الخضرمي مع عيسى بن عمر، في مسألة إعراب"ليس الطيب إلاَّ المسك"، ومناظرة الكسائي مع الفقيه الحنفي في مجلس الرشيد، حيث قال الكسائي: من تبحر في علمٍ، تهدَّى إلى جميع العلوم، فقال له محمد: ماذا تقول فيمن سها في سجود السَّهو، هل يسجد مرة أخرى؟ فقال الكسائي: لا، قال: لماذا؟ فقال: لأنَّ النحاة تقول: التصغير لا يصَّغر والخطيب بدوره ذكر أنَّ هذه القضية جرت بين محمد بن الحسن المذكور والفراء[1].

أمَّا بالنسبة للمناظرة التي حدثت بين سيبويه[2]والكسائي، كانت في المسألة الزنبورية[3]، والتي انتصر فيها الكسائي[4]، ومن بين المناظرات أيضاً، المناظرة التي قامت بين أبي الحسن الأشعري، وشيخه علي الجبائي[5]، والتي دارت حول وجوب الأصح **لله** تعالى، حيث قال الأشعري:<< ما قولك في ثلاثة مؤمن وكافر وصّبي، قال الجبائي: المؤمن من أهل الدرجات، والكافر من أهل الدركات والصَّبي من أهل النجاة، فقال الأشعري: ماذا لو أراد الصَّبي الوصول إلى منزلة المؤمن، قال الجبائي: لا يمكن ذلك لأنَّ حصوله على هذه المرتبة بالطاعة، قال الأشعري: ماذا لو قال الصَّبي، لو كبرت لعملت الطاعات مثل المؤمن، قال الجبائي: يقول **الله**، كنت أعلم أنَّك لو بقيت حياً لعصيتني لذلك راعيت مصلحتك فقال الأشعري: لو قال الكافر عَلمتَ حالتي فَلِمَا لم تراعي مصلحتي، فسكت الجبائي دون ردٍّ>>[6].

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص62 -141.

[2] المتوفى سنة180هـ وهو عمرو بن قنبر الحارثي، أبو بشر الملقب بسيبويه، إمام النحاة، كان أول من بسط علم النحو.-انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص133.

[3] خلاصتها الاختلاف الذي حصل بين الكسائي وسيبويه حول إعراب جملة"العقرب أشدّ لسعة من الزنبور" إمَّا بالرفع أو النَّصب ليطلق على هذه المناظرة "بالمسألة الزنبورية". انظر: السّيوطي، **الأشباه والنظائر في النَّحو**، ج1، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت، ص87.

[4] هو أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد **الله** بن يهن بن فيروز الأسدي بالولاء، والكِسائي بكسر الكاف وفتح السين المهملة وبعدها ألف ممدودة، قيل له الكسائي لأنّه دخل الكوفة، وهو ملتف بكساء كان أحد القراء السّبعة، إمام النّحو واللّغة والقراءات، مؤدب الأمين بن هارون الرشيد. انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج3، ص ص295، 296.

[5] المتوفى سنة 303هـ وهو أبو علي محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي من أئمة المعتزلة، ومن كبار علماء الكلام في عصره، وإليه نسب الجبائية، له مقالات، وآراء في المذهب.-انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص78.

[6] محمد بن محمد مخلوف، المرجع السابق، ص162.

عموماً إنَّ المناظرات تعتبر من أهم الفنون النثرية، التي شغلت الناس على اختلاف طبقاتهم، ومن جهة أخرى خدمت النثر، فيما يتعلق بالبحث في بلاغة القول من قبل المتكلمين والمتناظرين، مما ساهم في وضع أصول البلاغة العربية.

د) مجالس المذاكرة:

كانت إحدى أنواع التعليم العالي في بغداد، ومجالس لتدريس العلوم المختلفة، خاصة الحديث منها، الذي شهد انتشارً واسعاً في بغداد، فكان المحدثون يعقدون جلسات المذاكرة لتدريس الطلبة بقواعد ضبط الحديث، وأسانيده، ورجاله جرحاً وتعديلاً، وأحياناً كانت مجالس المذاكرة، يحضرها العامة والخاصة، يدونون فيها النقاش المتبادل مع العلماء من الأسئلة والأجوبة، فضلاً عن العديد من العلماء الوافدين على بغداد، وقد أقيمت بعض المرات في الساحات على مرأى الناس، وبذلك أصبح بإمكان الطلبة مشاهدة شيوخهم، والإقتداء بهم[1]، نذكر منها، مجلس أحمد بن محمد بن زكريا(ت290هـ)، حافظ للحديث[2]، ومجلس إبراهيم الحربي، ومجلس أبو حنيفة[3]،

وخلاصة القول أنَّ مجالس المذاكرة، لقيت انتشارً واسعاً في بغداد، فكانت تعقد على الدوام، لكسب العديد من صفوف العامة، قصد الالتفاف بجلساتها، وإزالة اللُّبس والغموض الذي يكتنف أهل بغداد أيٌّ توضيح شتي الأمور سواءً المتعلقة بالعبادات أم المعاملات، فكانت خير ميدان للتعليم العالي.

هـ) مجالس الشعراء:

يعدُّ الشعر شديد التأثير في القلب العربي، يحركه كما يحرك الهواء ريشة في الجَّو، فكان عندهم بمثابة الجرائد في هذا الوقت، لينطلق الشعر عندهم بكلمة، فتتلقاها الأسماع، وترددها الألسنة؛ وأسواقهم موضع يجتمع فيه أهل بغداد، لِتَّغني بما عندهم من الأشعار، وتبادل متاجرهم[4]، في حين كان

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص58، 59.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج6، ص139.

[3] المتوفى سنة 80-150هـ وهو النعمان بن مولى بني تميم **الله** بن ثعلب، الإمام الحافظ، العالم المتفقه، عظيم الشأن، كان لا يقبل جوائز السلطان، بل يتّجر ويكتسب، قال فيه الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة. -انظر: الذهبي، المصدر السابق، ج1، ص168.

[4] محمد بن محمد مخوف، المصدر السابق، ص19.

يرتاد هذه المجالس العديد من الطلاب، للانتفاع بما قيل وطاب، إلى جانب أنَّ المساجد في بعض الأحيان كانت دُور لتدريس الشعر، فضلاً عن المنازل، والحوانيت، كما أنَّ الطلبة لم يغفلوا عن حضور مختلف الدواوين الشعرية وتدوينها[1]، ومن هذه المجالس، مجلس أحمد بن سوادة أبو العباس، المعروف بخشيش(ت258هـ)[2]، أمَّا من بين الشعراء، أبو العتاهية، وأبو تمام الطائي، عباس بن الأحنف والبحتري والمتنبي[3]، والشريف الرضى، وأبو العلاء المعري، وأبو نواس[4].

و) مجالس الأدب:

بادر العلماء في تفسير[5] القرآن الكريم، مما جعلهم يقفون على ضبط معاني ألفاظه وتفهم أساليب عباراته، ودفعهم إلى البحث في أساليب العرب وأقوالهم، وأشعارهم، وأمثالهم، وهذا الأمر شمل على ما يعرف بعلم الأدب، الثَّري بالفنون الأدبية، والعلوم المتعلقة بالألفاظ، وهي تزيد عن العشرين علماً كالنحو، والصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والعروض[6].

فكانت مجالس الأدب المعيار الأساسي، والتي من خلالها يتم تعليم كل ما يشمل الفنون الأدبية، ونظراً لذلك عقدت المجالس الأدبية، واتسع نطاقها للجميع، وأقيمت في المساجد والمنازل[7].

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص60.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج6، ص149.

[3] (303،354هـ/915،965م) هو أحمد بن الحسين بن عبد الصَّمد الجعفي الكوفي أبو الطيب المتنَّبي، الشاعر، أحد مفاخر الأدب العربي، ولد بكندة بالكوفة، رحل إلى مصر، وشيراز وغيرها لطلب الأدب، فعلم اللّغة، توفي مقتولاً أثناء رجوعه إلى بغداد فالكوفة انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج1، ص115.

[4] المتوفى سنة 146–198هـ وهو الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحكمي، ولد بالبصرة، رحل إلى الكوفة، وبغداد، وهناك من يقول أنَّه ولد بالأهواز فنقِل منها وعمره سنتان، يكنى أبوعلي، وسميَّ أبو نواس، لذؤابتين كانتا تنوسان على عاتقيه، قال فيه المأمون: "شاعر ماجن يحلل في شعره ما حرم **الله**، ويحض الناس على التَهَتُك بالمحارم".–انظر: الدواداري، المصدر السابق، ص ص157–159.

[5] التفسير: في الأصل–الكشف والإظهار، وفي الشرع–توضيح معني الآية وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل على دلالة ظاهرة. –انظر: الشريف الجرجاني، المصدر السابق، ص67.

[6] محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص17.

[7] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص60.

ومن مَثِيلهَا مجلس أبو بكر السرَّاج النَّحوي[1]، ومجلس أبو بكر محمد بن القاسم[2]، هذا الأخير كان يملي في ناحية المسجد، وأبوه في ناحية أخرى، ومجلس إبراهيم الحربي، الذي قال فيه ثعلب: <<ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة ونحو>>[3]، إلى جانب مجالس في البلاغة والأدب، ولقد برز فيها كل من الكسائي، والأصمعي وغيرهم من خيرة هؤلاء الأدباء، لتكون مؤلفاتهم الشاهد الأوفى على اجتهادهم.

ز) مجالس الفتوى والنظر:

كان علم الفقه في صدر الإسلام، على سبيل الذكر يعني معرفة الأحكام، والمعايير الشرعية التي تنزَّل القرآن الكريم بها، أو نصَّ عليها الحديث أو السُّنة النَّبوية، فلمَّا تعدى الإسلام حدود الجزيرة في مختلف الأمصار، مما أدى إلى صعوبة التحكم، وسّد حاجيات المسلمين، حيث دفع هذا الأمر العلماء والفقهاء، إلى ضرورة الاجتهاد في الفقه والرأي، علماً أنَّ غالبية الفقهاء كانت أحكامهم تحمل طابع النظرة الأخلاقية، أكثر من النظرة الفقهية التشريعية[4]، وعلى هذا الأساس أقيمت مجالس للفتوى خاصة في بغداد، تسابق إليها الطلاب من كل حدّبٍ وصوب، للنهل من أكابر فقهائها والمداومة على حضور مجالس الفتوى، والتعرف على الجانب التطبيقي للأحكام الفقهية، والتي كانت من أهم المسائل التي تدَّرس للطلبة[5]، ومنها مجلس فتوى الأعمش عثمان البثى[6].

---

[1] هو أبو بكر محمد بن السّري بن سهل النحوي، المعروف بابن السرَّاج، وهذا الأخير بفتح السين المهملة، والراء المشددة، وبعد الألف جيم، ونسب إلى مهمة عمل السّروج، فهو أحد الأئمة المشاهير في النحو والأدب، له تصانيف عديدة في النحو،منها كتاب الأصول، وكتاب الموجز، وكتاب الاشتقاق، وكتاب احتجاج القراء.-انظر: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص ص339، 340.

[2] (271-327هـ) هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار بن الحسن بن بيان، علامة في الأدب، وأكثر الناس حفظاً، صاحب التصانيف في الأدب والنحو، كما صنف في علوم القرآن. -انظر: البغدادي، المصدر السابق، مج2، ص181. -أيضاً: ابن خلكان، المصدر السابق، مج4، ص341.

[3] الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص585.

[4] كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، تح:عبد الحليم النجّار، ج3، ط3، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت، ص232.

[5] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص60.

[6] البغدادي، المصدر السابق، مج9، ص33.

*** الطلبـة:**

أ) اختيار الطلبة:

لقد مثَّل الطلبة العنصر الفعال والأساسي في حلقة التعليم، بحيث لم يُشترط سِّن معين لاختيار الطلبة، فكانوا من مختلف فئات المجتمع البغدادي، صغارً أو شيوخاً، فطلبهم للعلم لم يمنعه أيّ عائقٍ فضلاً عن الإناث، اللواتي يحضرنَّ مجالس العلم على اختلافها، وخاصة حلقات حفظ القرآن الكريم[1].

ب) مواعيد المحاضرات:

كانت مواعيد المحاضرات والدروس التي يتلقاها الطلبة، غير مضبوطة؛ فاختلفت مواقيت إلقاء الدروس من قبل الأساتذة، الذين كانوا يشرفون على هذه المحاضرات، لتحدد أوقات الدرس من طرف الأستاذ، الذي مثل المصدر، أو العنصر المهم في هذه المرحلة، وقد خصصت فترات هذه الدروس قبل وبعد كل صلاة، يقوم فيها الشيوخ الكبار من محدثين، وفقهاء، وأدباء، وغيرهم من أهل العلم بتلقين الطلبة مختلف العلوم، كما كان موضع بث الدروس عاماً بالمتعلمين الطموحين، بالتزود بفنون العلم[2]، حيث روى جرير بن منصور عن أبي وائل قال:<< كان عبد **الله** يذكر الناس في كل يوم خميس.فقال له رجل:... لوَددت أنَّك تذاكرنا كل يوم، فقال: إنِّي أكره أنْ أُمْللكم >>[3]، عموماً كان الأساتذة يتمتعون بكل الصلاحيات في تحديد ساعات الدروس، وعددها، وكذا أيام المحاضرات، وفي الأغلب كانت المحاضرات، تقام يوم الجمعة في المساجد، يحضرها العامة والخاصة من المسلمين.

ج) لّغـة الـتـعلـيـم:

اعتبرت اللُّغة العربية من اللّغات السّامية، فهي لم تولد كاملة، بل مرّت بعدة مراحل قبل نضجها بداية كانت مزيجاً من اللهجات القبلية، ولكن بعد نزول القرآن الكريم، أتمَّ سيادتها وشرفها فضلاً عن الحديث النَّبوي الذي كان له الأثر الواضح في سيادتها، وبذلك ظهر الاحتكاك بالعرب وشاع في بداية العصر الأموي، بحيث اهتم العرب بوضع رسم لضبط المصحف وتشكيله، ووضع قواعد نحوية، تعصم

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص61.

[2] نـفسـه، ص62.

[3] البخاري، **صحيح البخاري**، ط2، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، 1434هـ/2013م، ص19.

الألسنة من الزّلات والأخطاء، ليتواصل العمل في جمع اللّغة، للحفاظ على القرآن الكريم واللّغة العربية، والوصول إلى فهم معاني القرآن الكريم[1].

ونظراً لأنَّ اللّغة العربية اللّغة الرسمية، كانت الأساس الذي يتعامل به في التدريس، واضحة سهلة تمكن بفضلها الطلاب من تبادل الأفكار فيما بينهم، وكذا تلقي العلوم من كبار العلماء، مما دفعهم أكثر إلى تعلمها بمختلف آدابها، من علم النَّحو، والصرف، والشعر[2].

د) آداب الـــدرس:

هو كل ما يتعلق بتنظيم مجلس العلم، والحلقة العلمية، فقد نهى رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم عن الجلوس وسط الحلقة، وأن لا يجلس المتعلم بين رجلين إلاَّ بإذنهما، في حين سمح للرجل بالجلوس في المكان إذا سمح له فيه، فقال: ((إذا دخل أحدكم إلى القوم فأوسع له فليجلس فإنَّما هي كرامة من **الله** أكرمه بها أَخُوهُ المسلم، فأن لم يوسع له فلينظر أوسعها مكاناً فليجلس فيه))[3]، كما أمر بحفظ حق الرجل في مجلسه فقال: ((إذا قام أحدكم- وفي حديث أبي عوانة- من قام من مجلسه ثمَّ رجع فهو أحق به))[4]. إضافة إلى احترام مجلس العلم، بعدم رفع الصوت، فقد كان الطلاب يلتزمون بالانضباط والأخلاق العالية في مجلس الدرس، ووجب عليهم التقيد بالأدب، واحترام الأساتذة، والتحلي بالمعاملة الحسنة، لتوطيد العلاقات فيما بينهم من الطلاب فلا يتشاجرون أثناء الدرس، وعدم إحداث الفوضى، بالكلام وما شابه ذلك في وسط المحاضرة والتركيز مع الأستاذ في كل ما يلقيه من شاردة وواردة، وتجنب مقاطعة كلامه أو مناقشته في وقت التدريس[5]، وأيضاً الصّبر على التلقين، وتحمل الشدائد في طلب العلم، علماً أنَّ الأستاذ يلعب الدور الكبير في تسير مجلسه العلمي، والتحكم في الطلاب والعناية بهم، والتخلي عن التفرقة العنصرية بحسب المرتبة العلمية، أو المكانة الاجتماعية للطالب، مما يساهم في كره الطالب لأستاذه وكرّه مادته تدني نتائجه، وبالتالي محاولة النفور، وعدم

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص62.

[2] نـــفســـه، ص62.

[3] السيوطي، **الفتح الكبير في ضمَّ الزيادة إلى الجامع الصغير**، تح: يوسف النبهانيّ، ج1، ط1، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1423ه/2003م، ص100.

[4] محمد بن فتوح الحميدي، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، تح: علي حسين البواب، ج3، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان،1423ه/2002م، ص223.

[5] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص62.

الرغبة في مواصلة الدراسة في التعليم، والأستاذ الناجح في مهنته، والذي يقوم بمسؤوليته الكاملة مرغوب فيه دوماً، ومعيار تطور المجتمع من مختلف جوانبه فالتربية في البيت أيّ الأسرة تأتي في المرتبة الأولى، تليها تربية المدرسة، وبذلك فالتحلي بالآداب أثناء الدرس من طرف الطلبة، يرجع إلى طريقة الأستاذ، ومدى تحكمه في طلبته[1].

هـ) أساليب التدريس: مثّلت أساليب التدريس أهم مجالات العلوم التربوية، وأوسعها وأكثرها، قابلة للتطوير والتغيير فهي الخطة، والطريقة التي يسير عليها المعلمون، وتلامذتهم، لتحقيق الأهداف والغايات المقصودة من التربية، وهناك تعريفات عدة للطريقة التدريسية منها، النمط أو الأسلوب أو النظام الذي يمكن أن يسلكه المعلم والمتعلم[2].

ومن أساليب التدريس، السماع، والإملاء، والإجازة، وهي تتفاوت من حيث الأهمية، فالسماع مثل أسمى طرف التدريس، وأعلى مستوى في التعليم، فقد كان الطريقة الأكثر انتشارً لقلة المواد المكتوبة فالطلبة يتلقون المعلومات عن طريق سماع الشيخ الذي يلقيها بصوته، بعد أنْ حفظها بصدره كما يؤكد الشيخ المعنى، بإعادة الكلام ليتمكن الطلبة من إتقان الحفظ، في حين كان أسلوب السّماع بأنْ يروي الأستاذ على تلامذته من كِتابة، وعلى الطلبة الاهتمام والاستماع دون مقاطعة، أو تدوين ما يعرض عليهم من العلم، ومن جهة أخرى كان السّماع، أن يقرأ الطالب أمام الأستاذ وعلى زملائه من نسخة مكتوبة، وسمي هذا بالعرض[3].

عموماً فطرق التدريس كانت تعتمد على أهم ما سبق ذكره، والمتعارف عليه أنَّ شتى العلوم تدرس أو تنتقل شفاهة، ورواية، على حسب أسلوب المدرس، إلى جانب أنَّ طريقة الإملاء على المتلقي، يمكن القول أنَّها تساهم في خدمة المعلمين أكثر، بحيث تُمكن المعلمين من عرض أكبر قدر ممكن من المعلومات وفي وقت وجيز، وعلى أكبر عدد من الطلاب، ويعتمد عليها معظم المعلمون بهدف الانتهاء من البرنامج المقترح عليهم، وليتفرغوا من مناقشة مختلف المواضيع المعقدة وتوضيحها للطلبة، والاعتماد على إعطاء أمثلة تساهم في تسهيل عملية الفهم.

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص62.

[2] نـــفسه، ص63.

[3] العـمــري، المرجع السابق، ص ص283، 284.

ونظراً لأنَّ الإملاء كان من أجود وأحسن طرق التدريس، فلقد كانت مجالس التدريس تعقد يوم الجمعة في أغلب الأحيان، ليقوم الأستاذ بالإملاء على الطلبة من الكتب أو الذاكرة، وكلما كانت مجالس الذكر كبيرة، يستعان بالمستملين أو ما يعرف بالمعينين، الذين يعيدون ما تمَّ ذكره من قبل الأستاذ على الطلبة البعيدين عن مجلس المعلم، وقد استعمل هؤلاء المستلمين لقوة صوتهم، وقدرتهم على الصّبر، خاصة في حالة إعادة الإملاء مرارً على الطلبة، بالإضافة إلى تمتعهم بالصدق في القول ونقل الكلام حرفياً، دون زيادة أو نقصان، من الشيخ إلى الطلبة[1]، ومن مجالس الإملاء، مجلس أبو عباس أحمد (ت332هـ)، الذي حدّث إملاءً بجامع الرصافة في تعليم القرآن والأدب[2]، وأيضاً عبد **الله** بن المبارك(ت181هـ)، قام بإملاء رسالة شعرية إلى الفضيل بن عياض[3].

أمَّا الحديث عن الإجازة، فهي السماح بنقل العلم إلى الآخرين، ولها ستة أنواع نذكر منها المناولة وهي بأن يمنح الأستاذ لطلبته البعض من كتبه، ويخبرهم عن الشيخ الذي أخذ منه، ليؤكد لهم أنَّها بخط يده، هذا على غرار أنَّ إجازة الشيخ كل قراءاته ومسموعاته للآخرين، لقيت معارضة بعض الشيوخ وأيضاً إجازة الشيوخ لبعض الأحاديث والكتب، حين إرسالها لشخص معين، كما أنَّ هناك نوع آخر من الإجازة، تتمثل في تقديم أحدٍ ما بورقة، تحمل حديثا أو رأيا، ويسأل عن مصدرها، فإن وجد صاحبها أصبحت إجازة له، إلى جانب أسلوب آخر في التدريس، المعروف بالوِجادة، وهو أنْ يتبنى الشخص شيئاً قرأه من كتاب أو تعليقٍ، ولم يطلب إجازته، مما نجم عنه اتهام البعض بالسرقة[4].

و) الـــرحلـــة:

إنَّ تناول موضوع الرحلة كجزئية تشمل ما سبق ذكره، يدفعنا إلى الورود إلى تحديد مفهوم الرحلة، وعليه فالرحلة لغة: من رحل، يرحل، رحلاً، رحيلاً، وترحالاً، أيّ؛ ذهب ورحل من بلده، خرج منها وارتحل القوم: انتقلوا، والراحلة: الناقة[5].

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص63.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج6، ص149.

[3] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص404.

[4] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص64، 65.

[5] أحمد رمضان أحمد، **الـــرحلـــة والـــرحالـــة المسلمـــون**، د.ط، دار البيان العربي، جدّة، السعودية، د.ت، ص17.

أمَّا اصطلاحًا: هي زيارة الأمصار المختلفة، وهي من أهم وسائل المعرفة الجغرافية المباشرة، ولذلك شهدت الرحلات، اهتمام العديد من العرب، نظراً لتعودهم على الترحال، ومما لاشَّك فيه أنَّ اتساع الرقعة الجغرافية للدولة الإسلامية، شجع المسلمون على كثرة الترحال، وخاصة خلال موسم الحجّ الذي ساهم بشكل كبير في تبادل المعارف والأخبار بينهم[1].

لقد كانت الرحلة في طلب العلم، هي الأساس الذي شغل فكر"العالم"، هذا الأخير جال مختلف الأمصار ليشاهد أحوال الشعوب، وتقاليدهم الناس وعاداتهم، واختلاف طبائعهم، وعلى كل حال، فإنَّ البحث عن مناهل العلم، يدفع صاحبه إلى الاحتكاك، بالشيوخ المعرفون برجال العلم لتلقي العلم منهم، والاسترشاد بتوجهاتهم من إكثار المطالعة، لاتساع دائرة الفكر، وتنوير ثقافته،كما يمضي قُدماً إلى أكابر الشيوخ، والاستماع لمختلف فتاواهم، وبصفة عامة إلى كل محاضراتهم، في شتى ما يعقدونه من المجالس[2]، كما أنَّ رسولنا الكريم حثَّ على التعليم، ونشره لقوله عليه أزكى الصلاة والسلام: ((سيأتيكم أقوام يطلبون العلم، فإذا رأيتموهم فقولوا لهم: مرحباً مرحباً بوصية رسول **الله** صلَّى **الله** عليه وسلم واقنوهُم))[3]، وقال موسى عليه السلام لسيدنا الخضّر:﴿ هَلْ أَتَبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِمَنِي مِمَا عُلِمْتَ بِهَ رُشْدا ﴾[4].

عموماً شكلت الرحلة الجزء الأكبر في جمع العلم، وبصدد ذلك لم يكتف الطلاب بالمعارف المحلية، بل كانوا يرتحلون إلى العواصم الكبرى في العالم الإسلامي، منها غرناطة في الأندلس، والمناطق الشرقية منها، أواسط آسيا، نيسابور، البصرة، وبغداد التي كانت النقطة المستهدفة أكثر.

علماً أنَّ رحلة طلب العلم لم تقتصر على فئة معينة بخصوص العمر أو الجنس، وعليه فإنَّ صغار السّن من الطلبة، كانوا يتوافدون على ملاقاة المشايخ الكبار والتمدّرس على أيديهم، وكانوا أشَّد حرصاً على التشبع بالعلم، والتزود بالكمِّ الهائل من المعارف، إلى جانب ذلك فالرحلة هي ميدان تنافس سعى فيها طلاب العلم عامة، إلى تحصيل العلم، وتداول الكتب، النسخ، والمشاركة في حضور

---

[1] أحمد رمضان أحمد، المرجع السابق، ص18.

[2] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص63.

[3] أبي عبد **الله** محمد بن يزيد القزويني بن ماجة، **سنن ابن ماجة**، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف النشر والتوزيع، الرياض، السعودية، د.ت، ص61.

[4] سورة الكهف، الآية (66).

الحلقات العلمية، ووضع بصَّماتهم بالمساهمة فيها، وعلى غرار هذا فإنّ الطلاب قد واجهتهم مخاطر الطريق ومشقة السفر، رغم ذلك لم تزحزح إرادتهم، ورغبتهم في كسب الكنز الثمين، ألاَّ وهو العلم الذي لم تضاهيه الأموال[1].

مما ذكر نجد أن الطلبة الفقراء، كان لهم الحظّ في الرحلة لطلب العلم، ومن بيّْن هؤلاء الإمام البخاري، وآخرون الذين تلقوا تعليمهم خارج بلدهم، في حين مُنحت لهم الإعانات، من دعم مالي ومعنوي، من قِبَل شيوخهم منهم[2]، عبد **الله** بن المبارك(ت181هـ)، كان يرتحل مع طلبته في جمع العلم من مَرُوُ[3] إلى بغداد، لينفق عليهم من إطعامٍ وكسوةٍ، ومن جهة أخرى إنفاقه على الفقراء بإعطائهم كل سّنة مائة درهم، إذّ عوتب لكثرة إنفاق المال على الطلبة، فردّ عليهم:<< إنِّي أعرف مكان قومٍ لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا الطَّلب للحديث، بحاجة الناس إليهم، احتاجوا فإنْ تركناهم ضاع علمهم، وإنْ أعناهم بثوا العِلم لأمَّةِ محمد صلَّى **الله** عليه وسلم>>[4]. إلى جانب بعض العائلات الغنية التي قامت بدورها الفعال في مساعدة الطلبة، فضلاً عن مساعدة الطَّلبة لبعضهم البعض، إضافة إلى المعاملة الطيبة التي تلقاها الطلاب، ووفرة الخدمات في المدن الكبرى، التي نزلوا بها وبالتكلم عن أماكن إقامة طلاب العلم، فإنَّ المساجد كانت المأوى الأول لهم، وبعض المنازل المستأجرة بحسب مدَّة الإقامة، والمعروف أنَّ معظم الشيوخ يصطحبون تلامذتهم خاصة الغرباء إلى منازلهم، واعتبرت الخانات والفنادق في بغداد مألف الطلاب.

وفي صدد ما تمَّ الحديث عنه، مثَّل علم الحديث الهدف الأساسي، الذي دفع بالطلاب إلى الرحلة لسماعه من كبار المحدِّثين، وجمعه لبلوغ علو الإسناد، وعلى سبيل الذكر، فالشيخ عبد **الله** بن المبارك رحل في طلب الحديث سَّنة إحدى وأربعين ومائة[5]، وكان إذا خرج إلى مكة يُردِّدُ:

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص65.

[2] نفسه، ص65.

[3] مَرُو-المرُو: الحجارة البيض تُقتدّح بها النّار، ولا يكون أسود ولا أحمر ولا تقتدح بالحجر الأحمر ولا يسمى مرواً؛ ومنها مَرو الرُّوذ وهي بالفارسية مرو النهر: تقترب منها مرو الشاهجان وتقع على نهر عظيم، وتعتبر من أشهر مدن خراسان وقصبتها لهذا سميت بذلك، كما أنَّها مدينة صغيرة ينسب إليها عدد من أهل العلم منهم، أبي أحمد بن محمد بن متَّوية المرو الروذي، وأخوه أبو عمرو الفضل كانا من أهل الفضل والحديث. انظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، مج5، ص112.

[4] البغدادي، المصدر السابق، مج11، ص ص396، 397.

[5] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص404.

بُغْضُ الحياة وخوف **الله** أخرجني وبيع نفسي بما ليس له ثمناً

إنِّي وَزَنْتُ الذِي يبقى لِيَعْدِلَهُ ما لَيسَ يَبْقَى فلاَ وَ**اللهِ** ما اتزنا[1].

كما أنَّ الطلبة يتلقون الحديث مباشرةً من المحدِّثين الكبار، ويحصلون على أسانيده، في حين اختلف الحال، بالنسبة للعلوم الأخرى، ألاَّ وهي علم النَّحو واللّغة، حيث رحل العديد من العلماء، لتُلقي هذه العلوم من كبار أهل العلم، فمثلاً الشاعر الكبير المتنبي توجه إلى القبائل العربية لنَّهل من أشعارهم وبعدها إلى العواصم الكبرى، لتعلم علوم اللّغة، والأدب، وبخصوص مدّة الإقامة لم تحدد في أيّ مدينة ومن جهة أخرى، يلاحظ أنَّ الطلبة يُفنون أعمارهم في طلب العلم، دون تعب أو مللٍ، ويرافقون أساتذتهم في الرحلة، ومثال ذلك طلبة الإمام الشافعي، الذين ارتحلوا معه إلى بلاد اليمن[2].

ز) أماكن التدريس:

التعليم بالضرورة يحتاج إلى أماكن لمزاولته، وبناءً على هذا فتدريس الطلبة في التعليم العالي ارتكز بالدرجة الأولى على المساجد، على اعتبارها بيت للصلاة والعلم، وكذلك المنازل هي الأخرى ملجأ الطلاب لدراستهم، ومثلها منزل علي بن محمد بن عبيد الذي جعل من منزله دار علمٍ، إلى جانب الساحات، والأماكن العامة، أو ما يعرف بالرَّحْبَات، التي كانت ملتقى العديد من العلماء لعقد الحلقات العلمية، إضافة إلى قصور الخلفاء، التي أهِّلَتْ بمجالس المذاكرة، ورواية الحديث، وإنشاد الشعر في حين استعملت الحمامات والأسواق أمكنةً لدراسة اللّغة وآدابها، وإلقاء الأشعار، منها سوق يحي[3] ببغداد[4]، وللتفصيل أكثر نذكر بعض الأماكن:

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، ص406.

[2] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص66، 67.

[3] نسبة إلى يحي: المتوفى سنة 233هـ قال عنه الذهبي:<<الإمام الفرد، سيد الحفاظ>>، وقال عنه أحمد بن حنبل:<< يحي أَعْلَمُنَا بالرجال>>، وقال عنه النسّائي:<<أبو زكريا الثقة المأمون، أحد الأئمة في الحديث>>.وله عدة مصنفات منها كتاب"تاريخ بغداد"، الذي اقتبس منه الخطيب البغدادي حوالي1100 موضعاً، منها تسعة مواضع بلفظ،<< ذكر، قال>>، كما امتلك البغدادي خمس نسخ منها أسئلة الدّارمي ليحي بن معين.-انظر: البغدادي، المصدر السابق، مج7، ص280.-وأيضاً: الذهبي، المصدر السابق، ج2، ص ص429، 430.-أيضاً: العمري، المرجع السابق، ص ص337، 339.

[4] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص68.

أ) المساجد:

بدايةً يعدُّ بناء المسجد أول عمل قام به، رسول **الله** أزكى الصلاة والسلام عليه، بعد هجرته إلى المدينة، لأهميته في شيوع أصرة الأخوة والمحبة، العدالة والمساواة بين المسلمين، ولمَّ شملهم على تعلم حكم **الله** وشريعته[1]، وعليه فالمساجد شكلت في الدولة الإسلامية أولى مدرسة دينية تعليمية تربوية للمسلمين، ومقراً للمحكمة، ودارً للضيافة، كما أنَّها من المراكز التي اهتم ببنائها الفاتحون المسلمون، وجعلوها من الدعائم العسكرية والدينية، وبمدار العصور أصبحت بمثابة المعهد أو الجامعة التي يتجه إليها الطلبة لإتمام تعليمهم، بعد الانتهاء من المرحلة الابتدائية، وفي هذا الصدد تواجدت ببغداد، عدة مساجد كانت بمثابة مؤسسات تعليمية، رفيعة المستوى في العصور الوسطى تنوعت فيها مختلف الدراسات[2].

علماً أنَّ الخلفاء العباسيين كان جلُّ اهتمامهم بناءُ المساجد، إذّ بلغ عدد المساجد والجوامع في بغداد45,000 منها 30,000 بالكرخ، و15,000بالرصافة[3]، فالمعروف عن الخليفة المنصور أنَّه عمل على بناء المرافق العامة، وشيَّد بدوره المسجد الجامع، الذي جعله ملاصقاً لقصره الذي سميَّ بقصر الذهب إلى جانب أنَّ المساجد الجامعة في بغداد، تجاوزت أحد عشر جامعاً، بحسب ما رواه ابن جبير أثناء رحلته نهاية القرن السادس الهجري، الثاني عشر ميلادي، وهذه المساجد لم تخضع لأيّة مراقبة وأيضاً هي ملجأ لطلاب العلم، والمسلمون عامةً من مختلف البقاع الإسلامية[4].

ومن أبرز المساجد ذات الإشعاع الثقافي في بغداد، جامع الخليفة المنصور، فهو أول جامع في تاريخ بغداد[5]، ومدرسةً لعقد حلقات علمية في مجال الإفتاء، وتدريس كافة العلوم الدينية، اللغوية والأدبية[6] ليأخذ الإذنُ فيه بالتدريس من الخليفة نفسه، وهو بدوره يستعين برأي نقيب النُّقباء، للموافقة لأيّ عالم أو فقيه وآخرون، بمزاولة التدريس بالجامع، هذا ما يؤكد مكانته المرموقة بين جوامع بغداد، إضافةً

---

[1] طه عفان الحمداني، **الإسهامات الحضارية لبعض علماء العراق في القرن الرابع الهجري**، ملتقى أهل الحديث، كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية، بغداد، د.ت، ص1.

[2] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص68.

[3] عبد الرزاق الحسيني، المرجع السابق، ص109.

[4] نفسه، ص109.

[5] بشار قويدر، المصدر السابق، ص354.

[6] طه عفان الحمداني، المرجع السابق، ص1.

إلى مسجد الرصافة، الذي عرف بجامع المهدي، يقع بالرصافة، وينسب للخليفة المهدي (158-169هـ/775-785م)، وفي ترجمة أبي القاسم بن الصباغ الوكيل(ت488هـ/1095م)، قوله:"كان مشرفاً على أوقاف جامع المهدي بالرصافة"، كما أنَّ كل من أحمد بن حنبل، ويحي بن معين[1]، قد حدثوا بجامع الرصافة، وبالرغم من سعته، كان يكتظ في بعض الأحيان حتى احتوى ألف مستمع للحديث[2] ورجوعاً إلى الجوامع، نذكر جامع القصر[3]، الذي بقيت منارته المعروفة بمنارة سوق الغزل، وتواجد فيه أربع دكات يتناظر عليها فقهاء المستنصرية، بعد صلاة الجمعة[4]، وأيضاً جامع نهر البزازين، اشتهر بمجالس الحديث، ودروس القراءات، وجامع نهر القلابين، مسجد باب الكناس، الذي تعقد فيه حلقات للتصوف، إضافة إلى مسجد سماك، ومسجد باب الجسر، هذا الأخير كان مجمع الشعراء أمثال أبي العتاهية، ومثله مسجد عبد **الله** بن المبارك، الذي شهد حلقات علمية كبيرة، ضمت بعض المرات حوالي 800 متفقه[5].

عموماً فالمساجد الأخرى التي لا تقام فيها صلاة الجمعة متعددة، ومنتشرة في أحياء بغداد، يتم فيها عقد حلقات التدريس، المختصة في علم واحد؛ أيّ تعليم القرآن الكريم أو تفسيره، أو تدريس الفقه على مذهب معين[6]، حيث كانت عبارة عن ساحات كبرى للعلم، ومعاهد لتعليم الشباب، أمَّا بالنسبة لتلقيهم العلم فيه، فهو يقتصر على التفاف التلاميذ، حول الأستاذة يكتبون ما يلقونه أو يملونه في حين كان الأستاذ يستند عادة إلى أسطوانة في المسجد، ثمَّ يأخذ في إلقاء محاضرته أو إملائها، أمَّا في الحلقات الكبيرة، كان يردد مستملٍ كلامه حتى يسمعه، ويكتبه البعيدون عنه في الحلقة، وقد كانت حلقة الفقهاء من أكبر الحلقات، إذّ كان يقصدهم طلاب الفقه، وأصحاب تولي

---

[1] رفيدة إسماعيل، المرجع السابق، ص41.

[2] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص70.

[3] أنشأه الخليفة المكتفي **بالله** في بداية حكمه (289/295هـ)، وهو ثالث جامع ببغداد قام بإصلاحه، وتوسعته من خلف مكانه في دار الخلافة العباسية، تمَّ ترميمه سنة 475هـ/1082م، حيث احتوى على منبر جديد، وسقايات عظيمة، وهذا ما أكده الرحالة المغربي ابن بطوطة بقوله:<< وبهذه الجهة الشرقية من المساجد التي تقام فيها الجمعة ثلاثة أحدها جامع الخليفة، وهو متصل بقصور الخلفاء، ودورهم وهو جامع كبير فيه السقايات ومظاهر كثيرة للوضوء والغسل>>.-انظر:محمد عبد العظيم أبو النصر، **الأوقاف في بغداد العصر العباسي الثاني**، ط1، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، د.م.ط، 2002م، 23ص.

[4] رفيدة إسماعيل، المرجع السابق، ص41.

[5] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص70.

[6] بشار قويدر، المصدر السابق، ص355.

منصب القضـاء أو الحسبة، ومما لاشك فيه أنَّ هذه الحلقات، كانت مباحة لأيّ شخص، حتى يأخذ ما يريده من التحصيل المعرفي، كما اشتملت بغداد على عدد وافرٍ من العلماء والأدباء، الذين تنوعت معارفهم تنوعاً واسعاً، واختلفت حلقاتهم[1]، ولا ننسى احتواء المساجد على نفائس الكتب، التي ساهم الخلفاء في اقتنائها من مختلف الأمصار، وبأغلى الأثمان، حرصاً للنهوض بالحركة العلمية في العراق خاصةً وبلاد المشرق عامة، إضافةً إلى إنفاقهم الكثير من أجل بناء المساجد والجوامع، لاحتواء مفهوم الحركة العلمية المزدهرة[2].

ب) منازل العلماء:

جرت العادة للعلماء الأكابر، والذين احتلوا الصدارة العلمية، على اختلاف تخصصاتهم، أنْ يقيموا مجالس علمٍ في بيوتهم الخاصة، حيث شهدت بغداد خيرة العلماء، الذين قاموا بدورهم على أكمل وجه بتوسيع رقعة التعليم، ونشره إلى أبعد حدٍ، ومنهم مجلس القاضي حسين بن إسـماعيـل المـحـاملـي(ت270هـ)، وأبو عبيدة المرزباني الأديب(384هـ)، وهارون بن محمد الضبي(ت335هـ) فضلاً عن منزل أبي سليمان السجستاني، الذي كان مجمع الكثير من العلماء، كما نخصُّ الـذكر، منزل الإمام أحمد ابن حنبل،كانت أبوابه مفتوحة أمام العلماء، الذين توافدوا على بغداد، ومن جهـة أخرى أمـام الطلبـة من خلال دراستهم جماعة أو فرادى في هذا المنزل أو غيره، ويمكن القول أنَّ مجالس الدرس كانت تعقد أحياناً عند عتبة الباب، بمجالسة الطلبة لشيوخهم الذين يشرفون على إلقاء الدروس، مع العلم أنَّ هذه المدارس كانت ينبوعاً للعديد من العلوم، من أدبٍ وعلم الكلام، فمنازلهم عمِّرت بالطلبة وعلى هذا النحو نذكر، كل من النَّحوي الفراء(ت207هـ)، وأبو بكر السّراج[3]، ومنه يلاحظ أنَّ أمـاكـن التدريس التي شملت منازل العلماء، شكلت مجمع وملتقى أهل العلم على اختلاف دراساتهم وميدان لتوسيع أفـق المعارف، والاحتكاك الثقافي بين طلاب العلم وشيوخهم.

---

[1] رفيدة إسماعيل، المرجع السابق، ص45.

[2] طـه عفان الحمداني، المرجع السابق، ص2.

[3] نـــــفســـه، ص3.

ج) حوانيت العلماء:

لقد مثلت الأسواق أماكن لكسب المعيشة لدى العلماء، وذلك بممارستهم مهنا وحرفا لاقتناء الأموال، لكن هذا لم يمنع توجههم لقبلة العلم، إلى درجة مزاولته في مكان عملهم، حرصاً منهم على نشر العلم، وتفادياً لخسارة وظيفتهم، لتركها والانصراف للتعليم، وعليه فحوانيتهم كانت مراكز للعلم والتعليم، وأفاضل العلماء والفقهاء، وما شابههم منهم يعقوب بن شبة(ت262هـ)، والجهشياري (ت331هـ) صاحب كتاب الوزراء، ومحمد بن إسحاق أبو الفرج المعروف بابن النديم(ت380هـ) صاحب كتاب الفهرست، إلى جانب أبو بكر محمد عبد **الله** المعروف بالمستعين(ت325هـ)[1]، فهؤلاء كانوا يعقدون مجالس العلم مع طلبتهم في الدكاكين، ويتطرقون للعديد من المواضيع منها، الحديث النَّبوي، والشعر، في حين اعتاد أحد علماء الفرائض، أنْ يقيم مجلسا في دكانه بعد صلاة المغرب والعشاء، ليحظى بالفرصة كل من يعمل في تلك الحوانيت، بالاستماع إلى الدروس والمناقشات الّتي تتم بين العلماء وطلبتهم، والاستفادة منها، واستدلالاً على ما ذُكِر فالبغدادي اسْتَمع لأحد علمائه وهو بحانوته، لتكون حوانيت العلماء عاملاً مساهماً في ازدهار الحركة العلمية في مدينة السلام، ولا ننسى أماكن أخرى كانت تعقد فيها مجالس العلم، من بينها الضواحي والطرقات[2].

*** الطلاب والأساتذة:**

أ) الطلاب: يمكن القول أنَّ الطالب هو كل شخص له الرغبة في التعليم، بصرف النّظر عن سنّه والمدَّة التي يقضيها في الطلب، وعليه فالطلبة يصنفون إلى قسمين، طلبة عارضين، وطلبة منتظمين.

1- الطلبة العارضون: جلُّهم من أرباب الأعمال والعمال وغيرهم، إلى جانب بعض من يقوم بحضور مجالس الإملاء في الحديث والشعر، فهم يشكلون ضعف عدد الطلبة المنتظمين[3].

2- الطلبة المنتظمون: يقتصرون على الأشخاص الذين يكرسون حياتهم في طلب العلم، والسعي لبلوغ علو الإسناد، والرحلة في طلب العلم خاصة الحديث، لاسيما في القرون الإسلامية الثلاثة الأولى وبعد جمعه يرتادون إلى تلقي الحديث، من كبار الشيوخ بحضور مجالسهم، في حين كان الشيوخ

---

[1] طه عفان الحمداني، المرجع السابق، ص3.

[2] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص72، 73.

[3] نفسه، ص73.

بأنفسهم يرحلون لتكملة دراستهم العليا، مثل عبد **الله** بن المبارك، الذي كان يرتحل مع طلبته في جمع العلم، كما سبق الذكر، إذّ أنَّ تلقي العلم لم يكن محددا بمدة معينة في الإسلام، إلى جانب أنَّ الطلبة وشيوخهم اهتموا بأداء فريضة الحجِّ والمداومة عليها، مغتنمين الفرصة لقاء كبار الشيوخ، والاستفادة وتبادل الأفكار معهم، وبهذا كان معظمهم يعقدون مجالسهم خلال أسفارهم، ومثال ذلك الخليفة المهدي، الذي أوعز للإمام مالك بن أنس، برواية كتاب"الموطأ"، أثناء موسم الحج ليتلقاه عنه علماء الأمصار، أمَّا عن اللّغة المتداولة كانت العربية، لتعتبر لغة العلوم، أتقنها الشيوخ والطلبة على السواء[1].

ب) مدّة الدراسة:

طلب العلم فريضة على كل مسلم من المهد إلى اللّحد، لم يقيد بسنٍ، فلا ينقطع صاحبه عن نهله إلاَّ بإرادته، وعلى غرار هذا فإنَّ طلبة الحديث كانوا يلازمون شيوخهم، لفترة عشر سنوات وثلاثين سنة، ليبرز منهم رواة الحديث في سّن تتراوح بين الرابعة والعشرين، والسادسة والثلاثين، أمَّا طلبة النّحو واللّغة بلغوا خمسين عاماً في تلقيه، ومثاله النّحوي المشهور"ثعلب"، الذي لازم مجلس الإمام إبراهيم الحربي(ت285هـ) مدّة خمسين عامًا، وبخصوص مدّة حضور المجالس تراوحت بين عشر سنوات وأربعين سنة وعلى سبيل الذكر،"سيبويه"درس وهو في الخامسة والعشرين سنة، وبالنسبة لطلبة التفسير كانوا يتخرجون بعد قضاء ست سنوات من تلقيه، في حين طلبة الفقه لازموا شيوخهم مدة طويلة فأبو يوسف لازم شيخه الإمام أبو حنيفة مدة سبع عشر سنة، كما قضى هذا الأخير عشر سنوات في دراسة الفقه، لتكون هذه مدة دراسته [2].

ج) عدد الأساتذة الذين ينبغي الأخذ عنهم:

أكدَّ العلماء على ضرورة تلقي علومهم، من أكابر الشيوخ، وتوسيع معارفهم بالأخذ من أكبر عدد ممكن، علماً أنَّ بغداد شهدت هذه الظاهرة، وينطبق هذا الكلام على طلبة الحديث، على

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص73 –68.

[2] نـــفسـه، ص ص72–74.

خلاف طلبة النحو، القرآن، والفقه، الذين لازموا شيخا واحدا، غير أنَّه لم يمنع طلبته من حضور مجالس شيخين أو أكثر[1].

د) البرنامج اليومي للطلبة:

يمكن القول أنَّ البرنامج اليومي للطالب لم يكن محدد، فالشيوخ عادة يعقدون دروسهم عقب صلاة الفجر، في حين كانت بعض الدروس، يتم إلقائها بعد شروق الشمس، وأخرى تلقى بعد صلاة الظهر إلى غاية وقت الغروب، وهناك دروس تلقى بعد صلاة المغرب، وتستمر إلى ما بعد صلاة العشاء وبهذا فالطالب كان يحرص على الحضور في وقت مبكر، وهذا ليأخذ الدرس قبل غيره من الطلاب أو الحصول على مكان متقدم في الحلقة، كما تختلف اللقاءات التي تتم في الدورة، خلال اليوم الواحد على حسب رغبة الطالب النفسية وقدرته، فمنهم من يحضر دروس خمسة شيوخ في اليوم الواحد ليكمل نهاره بالعمل[2]، وبالرغم من أنَّ الدراسة كانت مجانية، فإنَّ معظم الطلاب كانوا يمارسون عدة حرف لكسب الأموال من أجل نسخ الكتب أو شرائها[3]، وختام القول أنَّ يوم الطالب المسلم، يبدأ منذ ساعات الفجر الأولى، ويستمر حتى منتصف الليل[4].

هـ) علاقة الطلبة مع بعضهم البعض:

كانت علاقة الطلبة مع بعضهم البعض منسجمة، فهم يعتمدون على بعضهم، ويحضرون مجالس شيوخهم، ويشهدون لبعضهم البعض بذلك، بحيث مثلوا أسرة واحدة مبنية على التعاون والتآزر وتقديم النصح والإرشاد لمن له حاجة لذلك، إلى جانب تبادلهم الخبرات، لتجمعهم روح الزمالة والمساعدة، فضلاً عن رابطة اللّغة والدين[5]، ولقد ظهر التعاون فيما بين الطلبة البغداديين، ومما رُوِيَّ أنَّ عدداً منهم، أسهموا في إعانة رفقائهم من الطلبة المحتاجين[6].

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص76.

[2] نفسه، ص77.

[3] بشار قويدر، المصدر السابق، ص356.

[4] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص77.

[5] نفسه، ص78.

[6] بشار قويدر، المصدر السابق، ص357.

و) علاقة الطلاب بشيوخهم:

كانت العلاقة التي تـربط الطلاب بشيوخهم مبنية على الاحـتـرام والتقديـر، المـحبـة والعطف فالأساتذة كانوا سنداً لطلبتهم، يرحبون بهم في أيّ وقتٍ طرقوا فيه بابهم ويعملون على تلبية مطالبهم وإنْ اقتضى الأمر تعويضهم ما فات من الدروس، حتى ولو كان على حساب راحتهم، وراحة عائلتهم أمَّا معاملتهم مع الطلبة الغرباء كانت جدُّ حسنة، إلا درجة أنَّ غالبية العلماء، كانوا يشاركون طلبتهم مائدة الطعام، ويقدمون لهم المساعدة المادية والمعنوية، من خلال تعزيز الثقة بهم أمام بقية الطلاب ومن جهة أخرى، كان الطلاب يُعدّدون فضائل شيوخهم، ولا يسمحون بقول شيء يمسُّ كرامتهم لتكون العلاقة فيما بينهم بناءةً [1].

ز) موقف الآباء من تعليم أبنائهم: كان غالبية الآباء يشجعون أبنائهم على طلب العلم، وينفقون عليهم الأموال لاقتناء ما يحتاجونه، ويكلفون من يحظى على تعليمهم بتقديم ما يطلبه، سواء تعلق الأمر بتوفير أماكن التعليم، أم تزويده بالأموال إذّ تطلب ذلك، خاصة فيما يتعلق بالنسخ، واقتناء كتب نادرة، إضافة على سماح الآباء لأبنائهم بالرحلة في طلب العلم إلى مختلف الأمصار، ويرضون حتى ولو كانت هذه الرحلة طويلة إلى جانب أنَّهم يشجعون أبنائهم منذ الصغر على التعلم، فيصطحبونهم إلى مجالس العلماء للتعود على السماع والكتابة[2].

ح) تعليم الإناث:

سبقَ الحديث عن التعليم، أمَّا بخصوص المرأة فلم يكن تعليمها في الإسلام بدعة، فقد نبغ عدد منهنَّ في الأدب والشعر وغير ذلك، مما لاشكَّ فيه أنَّ تعليمهنَّ كان في الكتاتيب، مع العلم أنّه قبل الإسلام كانت قلة من النساء من يعرفن القراءة والكتابة، حيث كانوا يتعلمنَّ للضرورة الدينية والخوف من فسادهنَّ، غير أنَّ غالبيتهم كانوا يخافون من تعليمهنَّ الخط والكتابة، خشية من فسادهنَّ وعليه قال القابسي:<<وسلامتها من تعلم الخطِّ أنجى لها>>[3]. وبمجيء الإسلام اختلف الحال فيما يتعلق بمكان تعليمها، فبعض الرجال يرى أنَّ تعلمهنَّ يتم في المسجد، في حين يرى البعض الآخر أنَّ

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص78، 79.

[2] نفسه، ص80.

[3] أحمد فؤاد الأهواني، المرجع السابق، ص ص107، 108.

تعليمهنَّ يتم في البيوت، كما يُلاحظ أنَّ مختلف حلقات التدريس التي عقدت بالمساجد لم تكن مفتوحة على النساء، بل يتلقينَّ دروسهنَّ الخاصة بواسطة معلمين مستأجرين، مثل دروس الإمام أحمد بن حنبل للنساء، فغالبية المتعلمات من النساء هنَّ بنات العلماء، أو من ذوي أقاربهنَّ مما جعلهنَّ يستفدنَّ من الدروس التي عُقدت في بيوتهنَّ الخاصة بالطلاب، أمَّا بالنسبة للجواري كانت تحظيِّن باهتمام كبير من طرف أسيادهنَّ، فيُعلمهنَّ النحو والشعر، الغناء، وآداب المجتمع[1].

ط) حالة الأساتذة:

لقد تمتع الأساتذة بمكانة مرموقة في المجتمع الإسلامي، فالمعلم حرّ غير خاضع لأيّ رقابة، غير أنَّه ملزم بتحليه بالأمانة والصدق، وفي هذا الصدد فإنَّ ممارستهم التعليم لم يحدد له سّن معين، إلاَّ أنَّ البعض يقدره بسنِّ الخامسة والثلاثين، أمَّا سنُّ التقاعد لم يحدد، إذّ يستمر المعلمون في التعليم ويتوقفون عنه إنّ أرادوا، خاصةً عندما يرتبط الأمر بتدهور صحتهم، وغيرها من الأحوال، وعلى غرار هذا فإنَّ كل شخص رشح نفسه لأداء مهنة التعليم، يشترط أنْ يكون كفؤً وقادراً على القيام بمسؤوليته مما يجعله يحظى برضا أكابر العلماء ذوي الخبرة، وفي حالة اختباره بأسئلة معقدة، عليه أنْ يبرهن على مدى أحقّيته في ممارسة هذه المسؤولية، ومن جهة أخرى تعرض أجوبته إلى التحقيق ليعرف صدقه من كذبه، وهكذا يصادق على توليته مهنة التعليم دون تردد[2].

ثانيا: العلماء في بغداد.

*** العلماء:**

يُمكن القول أنَّ العلماء هم طائفة من العامة، تقربوا إلى الخلفاء لسماع الأخبار والنوادر، والنظر في علوم تلك الأيام الدينية، اللِّسانية، الأدبية، والتاريخية، ويدخل في ذلك الفقهاء والمحِّدثون، النحاة والأدباء، وأصحاب الأخبار.

فالعلماء هم في الدرجة الثانية بعد الأنبياء مصداقاً لقوله صلَّى الله عليه وسلم:<< العلماء ورثة الأنبياء ورثوا العلم ومن أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقاً يطلب به علماً، سهّل **الله** له

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص81.

[2] نفسه ، ص ص84، 85.

طريقاً إلى الجنّة >>[1].وقال جلَّ ذكره:﴿إِنَّما يَخشى **اللهَ** مِنْ عبادهِ العلماءُ﴾[2]، قال تعالى:﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ العَالمُون﴾[3]، وأيضاً: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿هَلْ يَسْتَوِي اَلّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِين لا يِعْلَمُونَ﴾[5]، وقال المولى أيضاً: ﴿ كُونُوا رَبَّانِين ﴾[6]، والمقصود من هذه الآية كونوا حكماء فقهاء ويُقال الرَّباني: الذي يُرِبّي النَّاس بصِغارِ العلْمِ قبل كِباره[7].

وخلاصة القول أنَّ العلماء أُعتبروا في الإسلام ورثة الأنبياء، مع تمتعهم بالتقدير والاحترام، فهم من أصحاب الطبقة الوسطى من الناحية المادية، ويُقال أنَّ معظمهم من التجار[8]، منهم عبد **الله** بن المبارك الذي ضربت به أمثلة من قبل على سبيل الذكر، وهنا كان من كبار التجار، يتاجر من خُرَسان إلى البلد الحرام[9].

وتكملةً فإنَّ العلماء لم تكن تغنيهم السلطة بقدر ما يهتمون بالمنفعة العامة للمجتمع الإسلامي[10]، وكان غالبيتهم يمتنعون عن الوظائف، ومناصب الدولة خوفاً على أنفسهم من أنْ تغرَّهم الدنيا فينحرفون عن العلم، وقد ذكر عبد **الله** بن المبارك قول المسيح عليه السلام:<< كما ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا >>[11]، وأنشَّد أبيات شعرية قائلاً:

أرى أناساً بأدنى الدين قد قنعوا ولا أراهم رضوا بالعيش بالدُونِ.

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدِّين[12].

---

[1] البخاري، صحيح البخاري، المصدر السابق، ص19.

[2] سورة فاطر، الآية (28).

[3] سورة العنكبوت، الآية (43).

[4] سورة الملك، الآية (10).

[5] سورة الزمر، الآية (09).

[6] سورة آل عمران، الآية (79).

[7] البخاري، صحيح البخاري، المصدر السابق، ص19.

[8] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص103.

[9] البغدادي، المصدر السابق، مج11، ص396.

[10] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص103.

[11] شوقي ضيف، المرجع السابق، ص405،

[12] نفسه، ص406.

أمَّا البعض الآخر فكانت تُمنح لهم السلطة فيرفضون ممارسة أيّةَ وظيفة رسمية، في حال استدعائهم بظرف انحطاط الحكم وفساد حكامه، وهذا ما زادهم نفوذاً ليكونوا مشعلاً يضيء درب الطريق، فهم حماة الدِّين والأمناء على شريعة **الله**، والمعيار المحرك لشؤون المسلمين[1].

أ) علاقـة العلماء بعامة النّاس:

لقد بنيت هذه العلاقة على رابطة متينةٍ؛ أيّ أنَّ العلماء حظوا بشعبية واسعة بين الناس، فكانت كلمتهم مسموعة، ولهم هيّبة لدى الخلفاء، الحكام، أرباب الدولة، ضّفْ إلى أنَّ تواضعهم أكسبهم مكانة جليلة لدى العامة من المجتمع، ولا ننسى أنَّهم من أصحاب الحرف، يسكنون الأحياء الشعبية ويتناولون أطراف الحديث مع الناس في الأسواق، ويتناظرون في المساجد، فحب عامة الناس للعلماء ناجم عن تعاملهم الحسن، حيث يتعاطفون مع الفقراء، ولم تبخل يدُّهم عن مدِّ العون لهم[2]؛ ومثال ذلك عبد **الله** بن مسلم القنطريّ،" كان إذا سأله فقير يُخرج كيساً من كمه، ويضع رأسه على الأرض ورجليه على الحائط ويقول:لا تأخذ منِّي إلاَّ وأنا هكذا شكراً **لله** على سؤالك إيّايّ"[3].

في حين يُذكر أنَّ أبو بكر بن مجاهد(ت245-324هـ)، كان يوماً في المسجد فحضر إليه غلام واستدعاه إلى بيته فقال:"يا أستاذ إنِّ رأيت أنْ تحملني بحضورك غداً دارنا، واستجاب الدعوة، وكان الفتى قدّ أعدَّ له ولزملائه من أجود الطعام والشراب"[4]، فهذا إنْ دلَّ إنمَّا يدل على قمة التواضع التي اتّصف به العلماء، مما جعل النّاس يقصدونهم دون تردد، والأخذ منهم فتاوى يعالجون بها مشاكل الحياة، فالعلماء قدموا الكثير للمجتمع الإسلامي، ومما لاشكَّ فيه تعلق العام والخاص من الحكام وأصحاب السلطة والنفوذ بهم، بحيث كانوا مستشاريهم في مجالات عدة.

ب) علاقة العلماء مع بعضهم البعض:

أمَّا بخصوص هذه العلاقة ،فإنَّ العلماء كانوا يتداولون فيما بينهم المجالس العلمية، ويحرصون على حضورها تقديراً لبعضهم، ليناقشوا مختلف المواضيع، ويعملون على تصحيح الأغلاط والأوهام التي وقع

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص103.

[2] نـفســه، ص105.

[3] البغدادي، المصدر السابق، مج11، ص412.

[4] نـفســه، مج6، ص355.

فيها غيرهم، والأخذ بالرأي الصواب عن طريق إتباع أسلوب حسنٍ لبق، فالعلماء كوَّنوا أسرة متحدة من خلال قيامهم بكامل واجباتهم اتجاه بعضهم، كأداء التعزية، تشّيع الجنائز، والوقوف مع بعضهم البعض في الأقراح والأفراح، في حين يعقدون مجالس يعددون فيها فضائل ومناقب المتوفى منهم، كما أنَّهم لا يبخلون عن زيارة المريض ومواساته[1]، ومثال ذلك ما ذكره، عيسى بن علي بن عيسى الوزير أنَّه يوماً زار زميله أبو بكر مجاهد(ت324هـ)، وهو مريض، وكان عنده أناس أطالوا الزيارة فقال: يا أبا قاسم عِيَادة أم ماذا؟ فانصرف القوم وهَمَمْتُ بالانصراف معهم، فقال لي: ارجع وأَنْشَّدني:

لا تَضْجِرنْ مريضاً جئت عائده إنَّ العيادة يوم إثـرٍ يـوميـن

بل سل عن حاله وأدع الإله له وأقعد بقدرٍ فواقٍ بين حلبيين

من زار عيّاً أخا دامت مودتـه وكان ذاك صلاحـاً للخليليـن[2].

هذا دليل على قوة العلاقة القائمة بين العلماء المبنية على التعاون والتآزر، كما أنَّهم لم يبخلوا على المحتاجين مادياً ومعنوياً، وأيضاً ذويهم وقضاء ديونـهم، بالإضافة إلى مراعـاة أسر الـغـائبين من زملائهم أثناء رحلتهم لطلب العلم إلى حين عودتهم، وقد تجلّت مظاهر هذه العلاقة المتينة في عدَّة أشكال منها: في مجال التعليم، فمعظم العلماء كانوا يخْلِفون زملائهم في حـال غيابـهم عن الحلقة أو مجلس التدريس، وينطبق هذا على العلماء الزائرين أيضاً، ومن جهة أخرى كان العلماء الغرباء في بغداد يتلقّون بحفاوة الترحيب، وجلَّ المساعدات، ليقيموا ببغداد ضيوفاً كراماً، مع العلم أنَّهم كانوا يتراسلون فيما بينهم بمختلف الكتب النادرة والمهمة، رغم تباعد بلدانهم، فكانت الرسائـل الوسيلة لنقل الأخبار الهامة والمعلومات العلمية، مما يدل على متانة الصلة بين علماء مختلف الأمصار والأقاليم الإسلامية[3].

وعلى غرار هذا كله فقد بدا تضامنهم في كفاحهم من أجل حرية الفكر والتعليم، والدليل على ذلك "محنة القرآن" التي تعرض بسببها عدد من العلماء على الاضطهاد والسجن، ليتعاطف بعضهم مع بعض لدرجةٍ تكلفهم عقوبات صارمة، لكن ذلك لم يمنع من تقديم العون والمساعدة المالية للمحتاجين من زملائهم، أمَّ بالنسبة للخلافات التي كانت تحدث بينهم أحياناً، لم تعكر صفو محبتهم

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص107.

[2] البغدادي، المصدر السابق، مج6، ص354.

[3] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص108.

واحترامهم المتبادل، خاصة المتعلقة بقبول أحدهم مناصب الدولة، والتي عرضت عليهم بكثرة، ولا ننسى بعض التنافر المذهبي الذي أدّى إلى تشتت العلاقات بين العلماء، لتزيد صفة الأنانية الملموحة عند بعضهم الطين بلةً، بحيث تحامل هؤلاء مع الحكام بالوشوشة على بعضهم البعض، فيما يتعلق بمخالفة ما يسنُّه بلاط الخلافة، علماً أنَّ الشعراء كانوا العنصر الفعال في مبالغة الخصومات من خلال تبادل قصائد الهجاء، وحقّاً أنَّ هذه الخلافات التي زحزحت العلاقة المتينة بين العلماء، كانت متعلقة بالميدان العلمي الأكاديمي لا غير، إذّ تخلوا تماماً من العلاقات الشخصية، فعموماً تبقي العلاقة المحترمة سائدة بين العلماء[1].

ج) علاقــة العلماء بالدولة:

وصولاً لهذه العلاقة فالمعروف أنّها كانت مضطربة، يكتنفها الغموض والمعارضة من كلا الطرفين وغالبية العلماء لم يعترفوا بالشرعية إلاَّ للخلفاء الراشدين، ولعمر بن عبد العزيز، وكُرهُ عدّة علماء لبلاط الخلافة راجع للاستبداد في الحكم، وتزعمهم على حساب أموال المسلمين، وسبق الذكر أنَّ العلماء كانوا رافضين لتولي أيَّة وظيفة في الدولة، ولم يكونوا راضين على سيرة الحكام، فهي لا تتماشى مع روح الإسلام، فالإمام أبو حنيفة حُبسَ وضُرب بسبب ذلك الرفض، وما حدث له شهده علماء آخرين إلى جانب أنَّ الإمام الغزالي، وسفيان الثوري، كانوا يعارضون الخلفاء من أمويين أو عباسيين، في حين كان بعض العلماء يقبلون مناصب الدولة، فيُقابلون بالإهانة والتعزير من باقي زملائهم، وعليه يمكن القول أنَّ العلماء كانوا معارضين لقبول المساعدات المالية التي تعطيها الدولة لهم، حفاظاً على حريتهم بدل شنِّ الحكام أوامر عليهم في مجال التعليم، وفي حال حضور الحكام مجالسهم العلمية يستاءون بالنفور وعدم الرضا، وهذا ما طبقه الإمام الغزالي، بعدم تحيّة الحكام بأسلوب متميز عن تحيته لغيرهم من الناس، كما أنَّ العلماء رفضوا دعوات الخلفاء لغرض رواية الحديث لهم[2].

د) موقف الدولة من العلماء:

في هذا الصدد تجلى موقف الدولة من العلماء في حسن المعاملة، فالخلفاء لم يبخلوا عن تقديم العون المادي للعلماء، ويكّنُون لهم الاحترام والتقدير، ثمَّ أنَّهم يقترحون عليهم مرافقتهم لقضاء الحجِّ

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص ص108-110.

[2] نـــفســـه، ص ص111، 112.

ويطلبون منهم رواية الحديث لهم، والتكفُّل بأبنائهم بالإشراف على تعليمهم مختلف فنون العلوم بمقابل الإنفاق عليهم، وتهيئة الظروف لهم(مجالس خاصة لرواية الحديث)، وهذا ما جعل العلماء يـأَلِّفُون الكتب استجابة لطلب بعض الخلفاء، وأمثلة ذلك أنَّ ابن إسحاق صنّف تاريخه بناءً على طلب الخليفة المهدي، وكَتَب الفراء كتابه"أصول النحو"بناءً على طلب المأمون، فتقدير الخلفاء للعلماء وأهلهم كان الدافع منه كسب العامة، نظراً لما تمتع به العلماء من مكانة هائلةً في نفوسهم.

أمَّا الدعوات التي كانت ترسل للعلماء الغرباء عن بغداد، أغلبها إجبارية والغرض منها: هو تأكيد شرعية الخلافة العباسية، فكان علماء المدينة المنورة أول من دعي لزيارة بغداد كسباً لتأييدهم، خاصةً أنَّهم كانوا من المعارضين للحكم الأموّي السابق، فالخليفة المنصور دعا الشعراء سنة(145هـ/762م) وهذه الزيارات هي بمثابة مهرجان حفلت به العاصمة الجديدة، أمَّا الهدف منها فكان قراءة الحديث للعامة من الحضور، كما حضر الخلفاء لإيهام النّاس بأنَّهم على الدين الحنيف، وأنَّ العلماء يؤيدونهم في حكمهم[1].

علماً أنَّ الخلفاء كانوا يُوَلُّون العلماء مختلف المناصب، غير أنَّ معظمهم كانوا في غنى عنها ويسّندونهم القضاء، الخطابة، والإمامة في المساجد[2]، فمثلاً في منصب القضاء نجد أبو الحسن التنوخي القاضي(301-358هـ)، تقلد هذا المنصب بالأنبار سنة 320هـ، وبخرسان سنة227هـ[3]، إلى جانب أحمد بن موسى بن إسحاق أبو عبد **الله** الأنصاري(ت322هـ) تقلد قضاء البصرة، وبعض بلاد فارس، وبخصوص منصب الوزارة والولاية فهي من المناصب الحساسة، حيث عمد الحكام على إبعاد العلماء عنها خشيةً على نفوذهم، والمعنى أنَّ الخلفاء كان لهم مستشارون يسمون "الندماء" فهم أقرب منهم، كما أنَّ الحكام لم يكونوا ميَّالين إلى مجالسة العلماء في محاضراتهم ومجالسهم الخاصة، ونفس ردِّ الفعل من عند العلماء، إلاَّ أنَّ ترددهم على بلاط الخلافة كان لتقديم النصح والإرشاد، بقول الغزالي: إنَّ بإمكان العلماء زيارة الحكام لمهمتين أولهما، الإعراب عن ولائهم بالدولة، خاصةً عندما يُخْشَى من قيام العامة بتمرّدات أو عصيان جنّدها، وثانيهما لغرض تقديم العون للمسلمين، ولعلَّ الإمام أحمد بن

---

[1] منير الدين أحمد، المرجع السابق، ص113.

[2] نـــفســـــه، ص113.

[3] البغدادي، المصدر السابق، مج13، ص557.

حنبل،كان من بين العلماء الذين قبلوا بتولية الوظائف الرسمية للدولة، لسببٍ يعود إلى حاجته الماسة لهذه الوظيفة[1].

هـ) دور العلمـاء في شؤون الـدولـة:

لعب العلماء دوراً بارزاً في شؤون الدولة، ليظهر في استشارة الحكام للعلماء في تعيين مناصب القضاء واعترافهم لهم بالكفاءة والعدل، وهذا ينطبق خاصة مع العلماء المتعاونين مع الدولة والذين كان لهم دور في تسيير وخدمة شؤونهم، وبعضهم كان لهم تأثير بـالغ على الخلفاء لنضرب المثل بالقاضي يحي بن أكثم، الذي ظهر تأثيره القوي على الخليفة المأمون، أنْ حمَّله على إلغاء الرخصة التي أصدرها في بعض أسفاره بإباحة زواج المتعة[2].

و) الأحوال المادية للعلماء:

لقد كان غالبية العلماء في حالة اكتفاء من الناحية المادية، وبعضهم عدَّ من الأغنياء، ليمدوا يد العون إلى طلابهم من المحتاجين، وهذا الأمر ذُكر مسبقًا، لنقول أنَّ القلّة من العلماء فقير، والفضـل يعود لمساعدات الخلفاء، خاصةً إلى جانب زملائهم من العلماء، الذين تقاسموا معهم ما يملكون لسمةٍ بارزة فيهم، مع العلم أنَّ جلُّ العلماء كـانوا يكسبون مصاريف معيشتهم بـالتوفيق بين امتـهـان الحرف ومزاولة التعليم، فاختاروا هـــذا الأمر حتى ولـو كان مرهقـاً لصحتهم، بـدل تلقي الإهانة والذّل، مـما شجعهم وجعلهم قادرين على مقاومة إغراءات أصحاب السلطة والنفوذ[3].

---

[1] البغدادي، المصدر السابق، مج6، ص352.

[2] منير الدين أحـمـد، الـمرجع الـسـابـق، ص114-117.

[3] نـــفســـه، ص118.

خاتمة

خـــاتـــمـــة:

من خلال البحث تمَّ استنتاج مايلي:

– الخطيب البغدادي من أعظم علماء القرون الوسطى، وواحد من أواخر العلماء الزهاد، ترك أثراً ملحوظاً بين معاصريه، إلاَّ أنَّ أثره كان أعظم بعد وفاته سنة463هـ، وحقق ما تمناه أنْ حدَّث كتابه "تاريخ بغداد".

– أمَّا بخصوص مصنفاته فقد انصّبت على الحديث وتـراجم العلماء، فاحتلت كتبه منزلة مرموقة لدى المحدثين، رغم أنَّها لم تكن أولى المصنفات التي عالـجت "أصول الحديث"، غير أنَّها واضحة الخطة حسنة التنظيم، وعلى سبيل الذكر منها: الكفاية من علم الرواية؛ وهو كتاب حافل بتحرير مسائل فنّ الحديث، وبيان قواعده، ويـعتبـر مـن أجل مصادر هذا العلم، ليعتبر حجة في موضوعه لكل من سار على منواله، ومن جهة كتابه "**تاريخ بغداد**" يعدُّ نموذجاً لا يحتذى به في الكتب التي أرِّخت لبغداد فحسب، بل احتذاه المؤلفون في تواريخ صنفت في القرون التالية.

– للكتاب أهمية من الناحية العلمية الثقافية، حيث بيَّن أساليب التدريس، ومناهج الدراسة لعلماء بغداد، وبين نشاط العلماء في المدن الإسلامية في ذلك الوقت، كما أنَّه يضمُّ تأريخاً للكتب التي أُلفت في تاريخ بغداد، لتكمن أهميته العظمى في اهتمامه بمجال الحديث، إذّ ترجم لحوالي خمسة آلاف محدث، والتعريف بالكتب المفقودة، وذكر الكثير من الكتب التي لم يذكرها ابن النديم في الفهرست حوالي 446 كتاباً.

– انتهج البغدادي منهجاً اعتمـد فيه على المصنفـات المتقدمـة، وانـتقـاء الـروايـات، ونـقده للروايات وترجيحه بينها.

– التعليم باعتباره حركة تعليمية الهدف منها فهم الدين ونشـره، ولقد عـرف هـذا الـنـظـام مرحلتين أولى وعاليا، اختلفت في الأماكن من كتاتيب(المكتب)، المساجد، وحوانيت، ومنازل العلماء، أمَّا سنّ التعليم لم يكـن محدداً في كلى المرحلتين، وهذا ينطبق على سنِّ التخرج، إذّ يُفني طالبه الـعمر في مزاولته، لتتراوح الفترة بين العشر سنـوات حتى الثلاثين وما وفوق، بحسب اختصاص طالبه، ولـغة

التدريس مثلتها اللّغة العربية الرسمية، لتقتصر أساليب التدريس على السماع، الإملاء، الإجازة الوِجادة.

– تعتبر الكتاتيب منطلق الصَّبيان في تعليم قراءة القرآن الكريم، الكتابة، ومبادئ اللّغة العربية، إلى جانب تعلمهم السُّنن والفرائض، وبعض الأشعار والأمثال، فيتهيأ من خلالها الطفل للتعلِّم جسمياً وعقلياً ونفسياً.

– تعددت المجالس العلمية، لتشمل الحلقة، والمجلس بتنوع علومه من مجلس الحديث، التدريس، المناظرة، المذاكرة، الفتوى، الأدب، الشعر.

– التعليم لم يقتصر على الطبقات الحاكمة والغنية، وكان حظّ الفقير فيه أعظم من حظِّ الغني.

– ساهمت الرحلة في طلب العلم، خاصة طلب الحديث في تكوين البغدادي وبلوغ علو إسناده، وأدّت بدورها إلى التجانس الفكري، والحفاظ على وحدة الهوية الوطنية.

– علاقة الطلبة في المجتمع مبنية على رابطة متينة أساسها الاحترام المتبادل والتواضع، ومدّ يد العون والمساعدة مادياً ومعنوياً.

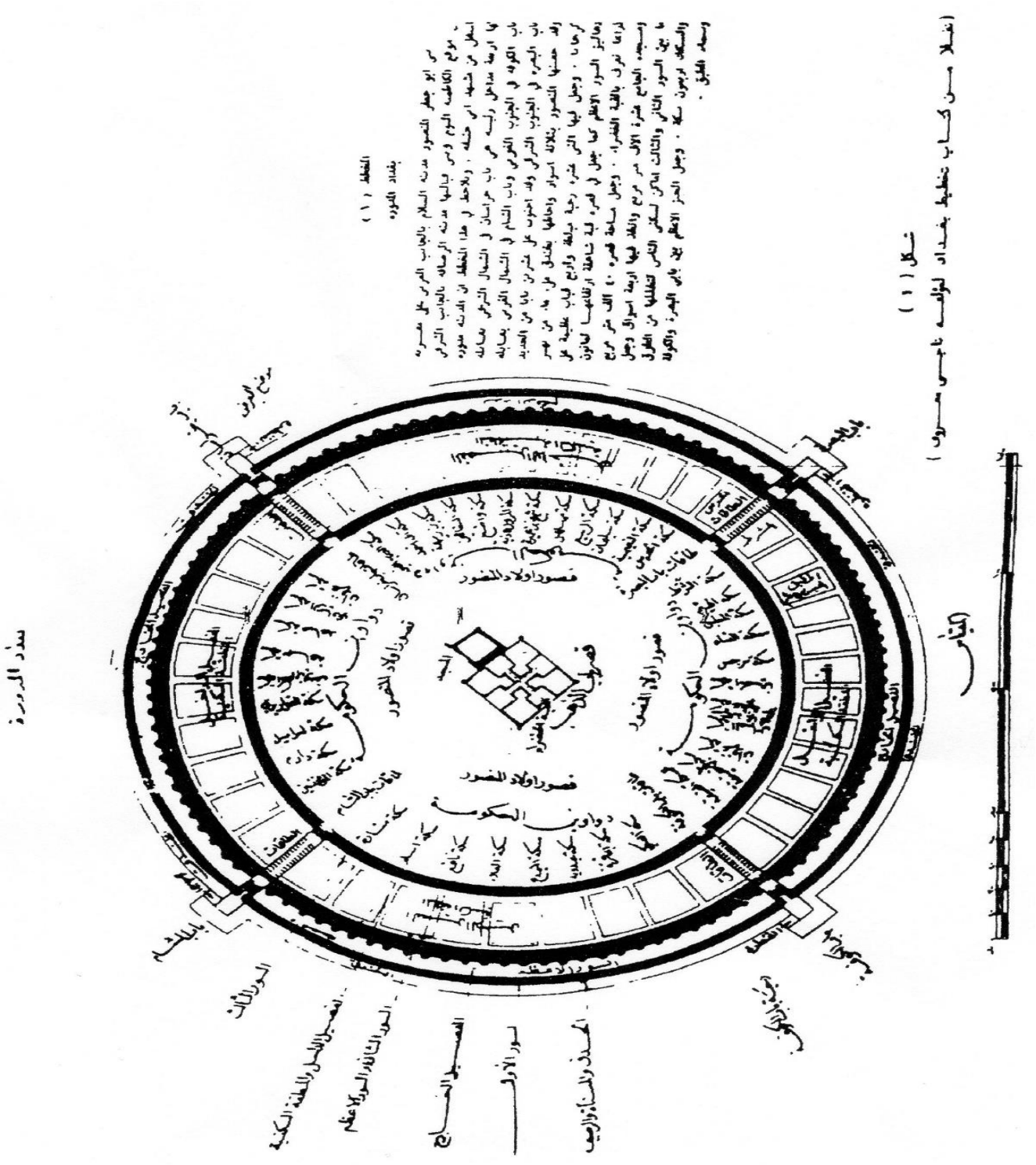
–اهتمام الخلفاء العباسيين بالعلم، وتشجيع نشره على نطاق واسع، ومساهمتهم في إقامة منشآت تعليمية، من المدارس "المدرسة النظامية"، والمساجد، مسجد المنصور، والرصافة، والتي بدورها لـمَّت جميع أصناف فنون العلوم، وصارت لها سمعة عالمية في بغداد.

– أمَّا العلماء فكانوا رمز الإشعاع الثقافي في بغداد، سواءً فلذة كبدها أم الغرباء عنها، وهؤلاء كانت لهم شعبية واسعة بين الناس، عززت نفوذهم السياسي، لينالوا هيبةً وخشيةً في بلاط الدولة.

– وأخيرا نجد أنَّ مدينة بغداد احتلت الصدارة في الاهتمام بالثقافة والمثقفين، لتزدهر بها الحركة الفكرية في العصر العباسي الأول، إذّ شهدت تطوراً في شتى العلوم والميادين، بسبب ظهور عدد كبير من العلماء والأدباء، وللبغدادي دور مهم في إعطاء صورة واضحة للعلم في بغداد.

الملحق

شكل 1: الأساس الذي بنيت عليه مدينة بغداد.



-انظر: عبد العزيز سالم، العصر العباسي الأول، ج3، د ط، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، مصر، 1993م، ص 399.

فهرس الأماكن والأعلام

فـهـرس الأمـاكن والأعـلام:

الأمـاكن: الـصفـحـة

بـعقوبة..... 37
البصرة..... 39
بيت المقدس..... 07
تونس..... 45
حـلب..... 08
خرسان..... 38
درزيجان..... 02
الـدَّينور..... 05
دجلـة..... 38
دمشق..... 06
الـرَّي..... 05
الرُصافة..... 38
سامُّراء..... 41
الـشام..... 39
صـور..... 07
غزيـة..... 02
طبرستان..... 20
طرابلس..... 08
الكوفة..... 38
الكرخ..... 38
كندة..... 51
مَـــرُوُ..... 74
مـكة..... 06
المدينة المنورة..... 45
نيسابور..... 05
النهروان..... 05
واســط..... 31

الأعـــلام: الصفحـة

الخليفة العباسي المنصور..... 38
أبو بكر بن علي بن ثابث الخطيب البغدادي..... 02
منصور الحبال..... 02

أبي الحسن بن زرقوية..... 02
أبو عبد الله الطيبي..... 03
أبي حامد الإسفراييني..... 68
عبد الله بن المبارك..... 06.
أبو بكر البرقاني..... 03
أبو الطيب الطبري..... 04
أحمد بن محمد المحاملي..... 04
ابن ماكولا..... 03
السّمعاني..... 43
ابن النجار..... 08
محمد بن إبراهيم بن حوران الحداد..... 06
أبو الحسن علي بن عبد الغالب بن جعفر بن الحسن البغدادي..... 06
أبي العباس الأصم..... 07
أبي نعيم الأصبهاني..... 10
عبد الله بن سلامة بن جعفر القضاعي..... 08
أرسلان البساسيري..... 08
ابن مسلمة..... 07
المؤتمن الساجي..... 10
أحمد ن حنبل..... 08
الحسين بن علي الدمنشي..... 08
محمد بن الطاهر المقديسي..... 10
أبي الفضل بن خيرون..... 09
ابن نقطة الحنبلي..... 11
أبي الفرج الجوزي..... 11
الدارقطني..... 11
ابوالحسن الطيوري..... 11
السِّلْفي..... 12
ابن شجاع الذهلي..... 12
أبي إسحاق الشيباني..... 60
ابن الصلاح..... 16
الجاحظ..... 20
الأصمعي..... 20
المدائني..... 20
أبي ا لفرج الأصبهاني..... 21
أبي بكر بن الأنباري..... 21
أبو عبد الله الصوري..... 22
أبي نصر السّجزي..... 22
عبد المحسن بن محمد الشيحي..... 43
الحافظ الأنماطي..... 44

أبي بكر محمد بن أحمد بن أحمد بن الخاضبة..... 44
أحمد بن الطَّيب السرخسي..... 45
هبة الله بن المبارك بن السقطي..... 47
أبو بكر عبيد الله بن علي المعروف بابن المارستانية..... 46
ابن عساكر..... 11
دعبل بن علي بن علي الخزاعي..... 51
عبد الله بن عدي الجرجاني..... 51
أبي القاسم عبد الله بن عبد الله بن محمد الشاهد (ابن الثلاج)..... 51
عبد الصمد بن علي الطُّستي..... 51
ومحمد بن إسحاق بن محمد بن يحي بن مندة..... 51
أبي الفتح عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن ميسور البلخي..... 51
محمد بن علي بن عمر بن الفياضي..... 52
موسى بن محمد بن عتاب..... 52
شعبة بن الحجاج..... 52
يحي بن معين..... 53
أبو عبد القاسم بن سلام..... 53
يعقوب بن سفيان الفسوي..... 53
محمد بن يعقوب الأصم..... 53
أبو زكريا الأزدي..... 53
يوسف القواس..... 54
محمد بن الصباح..... 54
محمد بن راشد أبو يحي الخزاعي..... 54
محمد بن موسى بن المثنى أبو بكر العقبة الداودي..... 54
الخليفة المهدي..... 55
الكسائي..... 61
قطرب..... 55
الخليفة الأمين..... 53
أبو العباس أحمد عقبة..... 56
الخليل بن أحمد الفراهيدي..... 57
عاصم بن علي..... 58
زكريا بن الحارث بو يحي البصري..... 58
إبراهيم الحربي..... 59
المبرد..... 61
أبو العباس ثعلب..... 61
سيبويه..... 61
أبو الحسن الأشعري..... 61
علي لجبائي..... 61
أحمد بن سوادة بو العباس المعرف بخشيش..... 63
المتنبي..... 63

أبو نواس..... 63
أبو بكر السراج النحوي..... 72
أبو القاسم بن الصباغ الوكيل..... 74
حسين بن إسماعيل المحاملي..... 74
أبو عبيدة المرزباني..... 74
هارون بن محمد الضَّبي..... 74
الفـراء..... 55
يعقوب بن شبه..... 74
محمد بن إسحاق بن الفرج المعروف بابن النديم..... 74
أبو بكر محمد عبد الله المعروف بالمستعين..... 74

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ-الـمـصـادر:

- الـقـرآن الكريـم.

1. ابن الديماطي أحمد بن أبيك بن عبد **الله** الحسني ابن النجار (ت700هـ)، **المستفاد من ذيل تـاريـخ بغداد**، تح: قيصر أبو فرح-دفل، ط1، دار المعارف العثمانية، حـيـدر آبـاد، الهند، 1399هـ/1979م.

2. ابن الصلاح عبد الرحمان الشهرزوري، علوم الحديث، تح: نور الدين عتر، د.ط، ط.د.م، د.ت.

3. ابن العمراني محمد بن علي بن محمد (ت580هـ)، **الأنـبـاء في تـاريخ الـخـلـفـاء**، تح: قاسم السّامرائي، دار الأوقاف العربية، ط1، القاهرة، مصر، 1419هـ/1919م.

4. ابن الفركاج تاج الدين (ت690هـ)، **شـرح الورقات**، تح: محمد حسن إسماعيل، ط2، دار الكتب العربية، بيروت، لبنان، 1405هـ/1985م.

5. ابن خلدون عبد الرحمان (ت808هـ)، **تاريخ ابن خلدون-ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن، خليل شحادة، مر: سهيل زكـار، ج2، دار الفكر للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،1421هـ/2001م.

6. ابن خلكان شمس الدين أحمد بن أبي بكر(ت681هـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** تح: إحسان عباس، مج1و3و4و5، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

7. ابـن سينـا، **القانـون في الطِّب**، ج1، ط1، دار الكتب الـعـلمية، بيـروت، لـبنـان،1420هـ/ 1999م.

8. ابن ماجة أبو عبد **الله** محمد بن يزيد القزويني، **سـنـن ابن مـاجة**، تح: محمد ناصر الدين الألباني، ط1، مكتبة المعارف النشر والتوزيع، الرياض، السعودية، د.ت.

9. أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، د.ط، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د.ت.

10. البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد **الله** الجعفي، **صحيح البخاري**، ط2، دار الفجر للتراث، القاهرة، مصر، 1434هـ/2013م.

11. ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ، **الأدب المفرد**، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ج1، ط3، دار البصائر الإسلامية، بيروت، لبنان، 1409هـ/1989م.

12. البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت(ت463هـ)، **تاريخ مدينة السلام وأخبارها محدثيها وذكر قطانها من العلماء من غير أهلها ووارديها**، تح: عواد معروف، مج1-17، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1422هـ/2001م.

13. ـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ، **تاريخ بغداد أو مدينة السلام**، تح: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، مج21، دار الكتب العلمية، 1418هـ/1997م.

14. البيهقي أحمد بن الحسين، **شعب الإيمان**، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1410هـ/1990م.

15. الجاحظ أبو عثمان عمرو بن بحر، **البيان والتبيين**، تح: علي أبو ملجم، مج3، د.ط، مكتبة الهلال، 1423هـ/2002م.

16. الحميدي محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تح: علي حسين البواب، ج3، ط2، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.

17. الداوداري أبو بكر بن عبد **الله** بن أبيك، **الدرة السنية في أخبار الدولة العباسية**، تح: دوروتيا كراقولكي، د.ط، مركز ودور المخطوطات، بيروت، لبنان، 1413هـ/1996م.

18. الدمشقي شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي(ت1089م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح: عبد القادر الأرنؤوط، ط1، مج5، دار ابن كثير، بيروت، لبنان، 1410هـ/1989م.

19. الدمشقي محمد الصالحي(ت744هـ)، **طبقات علماء الحديث**، تح: أكرم البوشي ج3، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان،1417هـ/1996م.

20. الذّهبيّ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان(ت748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تح: شعيب الأرنؤوط، ج14و18و19و20و21، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1405هـ/1984م.

21. الذهبي شمس الدين محمد(ت748هـ)، **تذكرة الحفاظ**، ج1و2و3، ط11، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

22. الراوي طه، **بغداد مدينة السلام**، مؤسسة هنداوي، القاهرة، مصر، د.ت.

23. السَّبكي تاج الدين(ت771هـ)، **طبقات الشافعية الكبرى**، تح: عبد الفتاح الحلو، ج2و4و5 و6و8، د.ط، دار إحياء الكتب العربية، د.م.ط، د.ت.

24. السمعاني أبو سعيد عبد الكريم التميمي(ت525هـ)، **الأنساب**، تح: عبد **الله** عمر البارودي، ج3، ط1، دار الجنان، بيروت، لبنان، 1408هـ/ 1988م.

25. السِّيرافي أبو سعيد الحسن بن عبد **الله** القاضي، أخبار النحويين البصريين، تح: طه محمد عبد المنعم خفاجي، د.ط، مكتبة مصطفى الباجي الحلبي، القاهرة، مصر، د.ت.

26. السّيوطي جلال الدين، **الأشباه والنظائر في النحو**، ج1، د.ط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

27. ـــــــــــــــ، **الحجج المُبينة في التفضيل بين مكة والمدينة**، تح: محمد زينهم محمد عزب، ط1، القاهرة، مصر، 1414هـ/1993م.

28. ـــــــــــــــ، **الفتح الكبير في ضَّم الزيادة إلى الجامع الصغير**، تح: يوسف النبهاني، ج2، ط2، دار الفكر، بيروت، لبنان،1423هـ/2003م.

29. العسقلاني بن حجر شهاب الدين(ت856هـ)، **نزهة النظر شرح نخبة الفكر**، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1428هـ/2007م.

30. قويدر بشار، **الدراسات وأبحاث في تاريخ المغرب والمشرق**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م.

31. المتقي علي بن حسام الدين الهندي، **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، ج15، د.ط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1989م.

32. مخلوف محمد بن محمد، شجرة النور الزَّكية في طبقات المالكية، د.ط، القاهرة، مصر، 1356هـ.

ب–المراجع:

1. أبو النصر محمد عبد العظيم، **الأوقاف في بغداد–العصر العباسي الثاني**، ط1، الهرم، مصر، 1423هـ/2002م.

2. سزكين فؤاد، **تاريخ التراث العربي**، مج8، ط1، د.ط، د.ت.

3. أحمد رمضان أحمد، **الرحلة والرحالة السلمون**، د.ط، دار البيان العربي، جدَّة، السعودية، د.ت.

4. أحمد منير الدين، **تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم حتى القرن الخامس هجري–مستقاة من "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي**، تر: سامي الصقار، د.ط، دار المريـة، الرياض، السعودية، 1401هـ/1971م.

5. الأهواني أحمد فؤاد، **التربية في الإسلام**، د.ط، دار المعارف، القاهرة، مصر، د.ت.

6. بآنَبيْله حسن عبد **الله، ابن خلدون وتاريخه التّربوي**، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 1404هـ/1984م.

7. بروكلمان كارل، **تاريخ الأدب العربي**، تر: عبد الحليم النّجار، ج3، ط3، دار المعارف، القاهرة مصر، د.ت.

8. الحسيني عبد الرزاق، **العراق قديماً وحديثا**، ط3، مطبعة العرفان، صيدا، 1377هـ/1958م.

9. الدوري عبد العزيز، **العصر العباسي الأول–دراسة في التاريخ السياسي والإداري والمالي**، ط1، دار الطليعة، بيروت، لبنان، د.ت.

10. سالم عبد العزيز، **دراسات في تاريخ العرب–العصر العباسي الأول**، د.ط، مؤسسة شباب الجماعة، الإسكندرية، مصر، 1414هـ/1993.

11. ضيف شوقي، **تاريخ الأدب العربي–العصر العباسي الأول**، ط16، دار المعارف، 1425هـ/2004م.

12. العمري أكرم ضياء، **موارد الخطيب البغدادي**، ط2، دار طيبة، الرياض، السعودية 1405هـ/1988 م.

13. ـــــــــــــــــــ، **عصر الخلافة الراشدة–محاولة لنقد الرواية وفق مناهج المحدثين**، د.ط، مكتبة العبيكات، المدينة المنورة، 1414هـ/1993م.

14. المختار محمد ولد أبّاه، **تـاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب**، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1429هـ/2008م.

ت–الـدوريـات:

1. الهادي يوسف، **تاريخ مدينة السلام...طبعة جديدة**، مجلة الوسيط، دار الوسيط للنشر والتوزيع، البحرين، يومية الوسيط سياسية مستقلة، 1423هـ/2002م، العدد 29.

2. الحمداني عفان طه، **الإسهامات الحضارية لبعض علماء العراق في القرن الرابع الهجري**، ملتقى أهل الحديث، كلية التربية للبنات، الجامعة العراقية، بغداد، د.ت.

ث–الـمـذكـرات:

1. إسـماعـيـل رفـيـدة، **بيت الحكمة البغدادي وأثره في الحركة العلمية في الدولة العباسية (132هـ،656هـ/754م،1958م)**، أطروحة لنيل شهادة ماجيستر الآداب في التاريخ، إشراف: د/الفاتح زين الدين الشيخ إدريس، جامعة الخرطوم، السودان، 1430هـ/2009م.

ج–الـمـوسـوعـات:

1. التهانوي محمد علي، **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تح: علي دحروج، د.ط، لبنان، بيروت، 1996/1417م.

2. المنجي بوسنينة، **أعـلام العـلمـاء والأدباء العرب والمسلمين**، مج1و2و3، ط1، دار الـجـيـل، د.م.ط، 1405هـ/1985م.

3. الشامي يحي، **مـوسوعـة المدن العربية الإسلامية**، ط1، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1993م.

ح-الـمعـاجـم:

1. ابن قنفذ أبي العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، **الوفيات-معجم زمني للصحابة وأعلام المحدثين والفقهاء والمؤلفين من سنة 11-807هـ**، تح: عادل نوّيهض، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، 1403هـ/1983م.

2. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم المصري، **لسان العرب**، مج10، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.

3. الجرجاني الشريف أبي الحسن علي بن محمد بن علي الحسيني(ت816هـ)، **التعريفات**، تح: محمد باسل عيون السود، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1430هـ/2009م.

4. ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد **الله** بن عبد **الله** الرومي البغدادي(ت627هـ-1229م)، **معجم البلدان**، مج1-5، د.ط، دار صادر، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م.

خ-القـواميـس:

1. الزركلي خير الدين، **الأعلام-قاموس لأشهر الرجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ج2، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1423هـ/2002م.

فـهرس المحتويـات :

المحتويـات	الـصفـحـة
البسملة.	
افتتاحية.	
الشكر والتقدير.	
الإهداء.	
قائمة المختصرات.	
مقدمة.	أ–ج
المبحث الأول: تعريف الخطيب البغدادي.	33–02
أولا:الحياة العلمية للخطيب البغدادي.	02
أ – نشأتـه.	04–02
ب–رحلاتـه.	09–04
ثانيا:مؤلفات الخطيب البغدادي.	11–09
– الحديث.	13–11
– مصطلح الحديث.	15–13
– رجال الحديث.	17–15
– التاريخ.	17
– العـقـائـد.	18–17
– أصـول الفـقـه.	18
– الـفـقـه.	19–18

– الـزُّهد والرقائق.	19
– الأدب.	22–19
ثالثا: شيــوخ الخطيب البغدادي.	22
1– أبو الحسن محمد بن محمد بن رزق(325–412هـ).	22
2– اللالكائي هبة الله الحسين بن منصور(ت418هـ–1027م).	23–22
3– أحمد بن أحمد البرقاني الخوارزمي(536–425هـ).	24–23
4– الحسين بن الحسين المعروف بابن دوما النعالي(ت421هـ).	25–24
5– الحسين بن علي الصَيمري القاضي(ت429هـ).	26–25
6– أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الحربي السمسار المعروف بابن قشيش(ت437هـ).	26
7– الحسين بن علي أبو الفرج الطناجيري البغدادي(ت439هـ).	26
8– أبو عبد الله محمد بن علي الصوري(ت376–441هـ).	27–26
9–القاضي أبو الطيب الطبري الفقيه الشافعي(348–450هـ).	28–27
10– أبو محمد الحسن بن علي الجوهري(323–454هـ).	28
11– الدربندي أبو الوليد الحسن البلخي(ت456هـ).	29–28
12– أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني الدمشقي الصوفي(466–489هـ).	29
13– عبد الملك بن عبد الله بن بشران (ت430هـ).	30–29
14–أبو الحسن محمد بن الحسن بن الفضل الأزرق المتُّوني (ت415هـ).	30
15– علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحمامي(ت431هـ).	31–30
16– أبو العلاء محمد بن علي بن أحمد الواسطي المقرئ(ت431هـ).	31
17– أبو طالب عمر بن إبراهيم الزَّهري الفقيه الشافعي بن حمامة(ت434هـ).	32–31
18– أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عثمان الأزهري الصيرفي بن السّوادّي (ت435–355هـ).	33–32

19– أبو الحسن التوزي أحمد بن علي البغدادي المحتسب(ت442هـ).	33
20– إبراهيم بن عمر أبو إسحاق البرمكي الحنبلي(ت450هـ).	33
المبحث الثاني: دراسة كتاب تاريخ بغداد.	49–35
أولا:محتوى كتاب تاريخ بغداد.	43–35
ثانيا:أهمية كتاب تاريخ بغداد.	49–43
ثالثا:منهج الخطيب البغدادي.	49
المبحث الثالث: التعليم والعلماء في بغداد.	89–54
أولا: التعليم في بغداد.	54
أ–المرحلة الابتدائية.	54
1–الكتاتيب.	56–54
2–المؤدبين.	59–56
ب– المرحلة العليا.	59
* الحلقة.	60
*المجالس (الحديث، التدريس، المناظرة، المذاكرة، الشعراء، الأدب، الفتوى والنظر).	68–61
* الطَّلبة (اختيار الطلبة، مواعيد المحاضرات، لّغة التعليم، آداب الدرس، أساليب التدريس، الرحلة، أماكن التدريس).	79–68
* الطُّلاب والأساتذة.	79
أ–الطُّلاب (العارضين، المنتظمون).	79
ب– مدَّة الدراسة.	80–79
ج– عدد الأساتذة الذين ينبغي الأخذ منهم.	80
د– البرنامج اليومي للطلبة.	80

هـ–علاقة الطلبة مع بعضهم البعض.	81–80
و– علاقة الطلاب بشيوخهم.	81
ز– موقف الآباء من تعليم أبنائهم.	82–81
ح–تعليم الإناث.	82
ط– حالة الأساتذة.	83–82
ثـانـيـا: الـعـلـمـاء في بـغـداد.	89–83
* الـعـلـمـاء.	84–83
أ– علاقة العلماء بعامة الناس.	85–84
ب–علاقة العلماء مع بعضهم البعض.	86–85
ج– علاقـة العلماء بالدولـة.	87–86
هـ– موقـف الدولة من العلماء.	88–87
و– دور العلماء في شؤون الدولة.	89–88
ز– الأحوال المادية للعلماء.	89
خـاتـمـة.	92–91
ملحق (خريطة).	94
قائمة البيبيوغرافيا.	101–96
فهرس الأماكن والأعلام.	106–103
فهرس المحتويات.	109–107